محمد عبد المنعم خفاجي

# في آفاق الفكر الإسلامي

رابطة الأدب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين ، قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك امرت ، وانا اول المسلمين ؛ قل أغير الله ابغى ربا ، وهو رب كل شىء ، ولا تكسب كل نفس ألا عليها، ولا تزر وازرة وزر اخرى ، ثم الى ربكم مرجعكم ، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون .

( الأنعام ١٩١ ـ ١٩٤ )

بسم الله الرحمن الرحيم

## تصـــــــدير

**بقلم الكاتب الكبير الأستاذ البشير بن سلامة**

وزير الشئون الثقافية الأسبق فى تونس

ليس من اليسير الكتابة عن الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى هذا المجال الضيق لابراز مسيرته الأدبية والفكرية والثقافية طيلة عقود طويلة أصبح من خلالها ، على مر الأيام ، وجها من وجوه مصر المشرقة المشهورة فى بلـده وفى العـديد من الأقطـان العربيـة . ولا غرو فقـد قال عنـه أحمد زكى أبو شادى : **« انه ظاهرة فذة فى تاريخ الثقافة العربية »** .

وليس من السهل الالمـام بسعة ما دون وما كتب وهو الذى نشر ما يربو على الخمسمائة كتاب ، شـعرا ونثرا ، عدا المخطوط ، تنـاول فيها بالدرس والبحث فنونا من الأدب والفكر والثقافة . فقد كتب فى الدين وفى التاريخ والأدب والنقد والتفسـير والحديث والبلاغة والنحو واللغـة وغير ذلك من المواضيع التى يطول ذكرها .

ولكن محمد عبـد المنعم خفاجى ليس ذاك الأديب والشـاعر الفزير التليف ، المعزول عن الدنيا ، المتفاعل أو المـأزوم أمام الورقة البيضاء فقط ، انه الانسـان بأبعاده المتعددة ، وانه رجل الفكر التائق الى الارتباط بالحيـاة فى أسمى معانيها .

هو الانسان يشعرك عندما تلتقى به ، حتى لأول مرة ، بعفوية تنبع من الفؤاد فتنفذ الى قلب محدثه ، ويبهرك ببساطة فيها سـمو ضارب فى أعماق الشعب المصرى ، وفيها آثار الكفاح من أجل العيش والاسـتماتة فى سـبيل العمل الفكرى ، ولو كان ذلك بوسـائل لا تدعمها اية جهـة مرموقة . هو بذلك انموذج من روح الشعب المصرى ، الفواحة انسانية ، الناطقة بعبء حضـارات تركت بصـماتها ، لينا ومرحا ودماثة اخـلاق ولطف معشر .

هو أيضا رجل الفكر ، الشاعر بدوره كمصرى معتز بحضاراته ، وفى لثقافته ، مرتبط بمجتمعه أشد الارتباط ، ولكنه مع ذلك ، كما قال المستشرق المجرى جرمانوس « كثير الصراحة ، كثير السخط على محسوبيات الرؤساء » ؛ وان هو لا يميل الى جعل الفكر بابا لتصفية الحسابات ونصب العراك والخصام . وهو الى ذلك مؤمن بأن دوره كمثقف مصرى لا يالى عليه أبدا التقوقع والانكماش والعزلة ، فتراه لا ينى يعمل فى رابطة الادب الحديث على الانفتاح على سائر الشعوب العربية ، يحتفل بهذا الشاعر او يقيم ذكرى لهذا الأديب سواء كان من العراق أو السعودية او سوريا او تونس أو غيرها .

لقد فهم محمد عبد المنعم خفاجى ، ربما اكثر من غيره من المصريين ، أن عظمة مصر ليست فقط فى اشعاع عباقرتها على سائر الامة العربية ، بل فى احتضانها لأفذاذ هذه الامة مثلما فعلت جماعة ابللو مع ابى القاسم الشابى وعملت الكثير من الأوساط المصرية على تبنى أفذاذ اصبحوا منها واليها .

هذه هى الصورة البارزة التى تركها محمد عبد المنعم خفاجى فى ذهن كثير من التونسيين ، صورة المحرك النشيط ، مع ثلة من الادباء ، لرابطة الادب الحديث ، سليلة جماعة ابلاو ، وهى الرابطة الدائبة على ربط الصلات الثقافية بسائر الاقطار العربية فى عفوية ، بعيدة عن الاكادمية الباردة ، والنخبوية العاتية .

**البشير بن سلامة**

وزير الشئون الثقافية الأسبق

فى تونس

## الخفاجي مفكرا اسلاميا

**د ـ عبد العزيز شرف**

أستاذ الاعلام الاسلامي في
الجامعات المصرية والعربية

تاريخ طويل للخفاجي مع الفكر الاسلامي وفي مصاحبته ، على امتداد ثلاثة أرباع القرن العشرين .

من مدرسة الافغاني ومحمد عبده ، الى مدرسة ائمة الفكر الاسلامي من شيوخ وعلماء ومفكرين وكتاب ، الى قراءات مستفيضة في هذا الفكر : تراثا وتاريخا ودراسة ، الى معاشرة للفماعات المهتمة بهذا الفكر ، نظرية وتطبيقا ، الى كتابات طويلة ، وكتب جليلة كتبها الخفاجي ودارت حول الفكر الديني والروحي في العالم الاسلامي ، الى رحلات طويلة في انحاء وطن المسلمين افادته اطلاعا وخبرة ومشاهدة ، الى حوارات طويلة له مع رواد هذا الفكر ومصاحبة طويلة لهم ، الى اتصاله الوثيق بالجامعات والمجامع الاسلامية ، بل وعمله في الكثير منها ، الى وقوفه امام احداث التاريخ الاسلامي متأملا ومتعمقا في فهم أسراره وخوافيه .

كل ذلك هو الخفاجي في فكره الاسلامي المضيء ، وندعو له بالعمر المديد ، ليواصل اداء رسالته في خدمة الاسلام والمسلمين والفكر الاسلامي .

خمسة عشر قرنا من الزمان ، ومصر الاسلامية تحمل لواء الحضارة فى العالم وتؤدى رسالتها الى مختلف الشعوب .. الى خمسين قرنا سبقت ظهور الاسلام حملت فيها مصر الفرعونية لواء الحضارة وبشرت بها جميع الامم فى شتى انحاء الدنيـا .

وكانت مصر الاسلامية فى مطلع دورها الحضـارى هى التى انشئت اسطولا بحريا لم يلبث أن صار صاحب السيادة البحرية فى البحر الأبيض المتوسط ، وكانت هى صاحبة الانتصارات الكبيرة فى تاريخ العالم الاسلامى : فى معركة ذات الصـوارى ( ٣٥ هـ / ٦٥٤ م ) ومعركة حطين ( ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ) ومعركة المنصورة ( ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ) ، ومعركة عين جالوت ( ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ) ومئات المعارك الكبرى الفاصلة فى تاريخ الاسلام .

مصر الاسـلامية هى التى انهت الحروب الصليبية وحررت ارض فلسطين من الاحتلال الصليبى ، وهى التى انهت أسطورة سـيادة التتار وانهم الشعب الذى لا يهزم .

كما انهت من بعد اسطورة اسرائيل بحرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وهى التى اعلنت قيام الخلافة الاسلامية فى القاهرة عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م بعد سقوط بغداد فى أيدى التتار بثلاث سـنوات .

ومصر الاسلامية هى التى قامت فيها عام ٢١ هـ ، بعد الفتح الاسلامى مباشرة ، اول جامعة وهى جامعة الفسطاط الاسلامية ، ثم قامت فيهـا بعـد ثـلاثة قـرون الجامعـة الاسـلامية الكبـرى ، الأزهـر الشريف ( ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م ) .

ومصر الاسلامية هى التى استضافت جميع القادة والاحرار والمفكرين والعلمـاء والأدباء وخصصت لهم فى أرضها مناصب رفيعة ، وهل ننسى الحســن بن الهيثم ، أو ابن خلدون او المقرى او الزبيدى أو الأفغـانى أو الكواكبى أو الكاظمى أو سواهم من الآف العلماء والأدباء ، والسياسيين ،

والمفكرين على امتداد عصور التاريخ .. ممن أووا الى مصر ، واستظلوا بظلهــا ..

ومصر الاسلامية هى التى نشرت المدارس والجامعات فى أنحاء العالم الاسلامى ، وعلماؤها هم الذين تصدروا حلقات التدريس فيها فى جميع العصور ، وهى التى انشأت لطلاب العالم الاسلامى الوافدين عليها ليدرسوا فى الأزهر الشريف الأروقة والمساكن ، واجرت عليهم الأموال والمرتبات ، حتى تخرجوا من الأزهر وتصدروا الحركات الاسلامية والعلمية والسياسية فى بلادهم .. ومدينة البعوث الاسلامية المخصصة لشباب العالم الاسلامى الذين يدرســون فى الأزهر الشريف ، بعماراتها التى تبلغ الخمسين ، شاهد صدق على ما تبذله مصر من أجل العالم الاسلامى ، والكتب الاسلامية التى ترسلها القاهرة الى كل مكان فى العالم الاسلامى هى التى تغذى الحركة الثقافية والاسلامية فى كل أنحاء الدنيا .

مصر الاسلامية هى ألتى رعت كل الحركات الاسلامية والفكرية ، والعلميــة والحضارية فى مختلف انحاء العــالم الاسلامى ، ولا انسى ليلة قضيتها فى كيرالا بالهنــد هى ليلة الرابع والعشرين من يناير عام ١٩٨١ م حيث اقامت بلدية كيرالا حفل شاى تكريما للوفود العربية التى اشتركت فى مؤتمر الأدب العربى المعاصر المنعقد فى ممباداً وقال رئيس حفل التكريم الهندى : ان مصر لها فضل عظيم على الحضارة العالمية ، وعلى الشعوب الهندية كافة وعلى مسلمى الهند على وجه الخصوص ، وأن الأزهر الشريف صاحب الدور القيادى فى الفكر الاســلامى على امتداد العصور .. وقلت أنا نيــابة عن مصر وعن الوفود العربية المشــتركة فى المؤتمر : ان مصر الاســلامية تحمل عبء العالم الاســلامى كله ، وترفع راية الحضــارة الاســلامية بل العالمية فى مختلف انحاء الدنيا ، ومن أزهرها الخالد انبثقت

كل افكار التقدم والحرية والاصلاح .

دور مصر الاســلامية فى المــاضى والحــاضر والمســتقبل ، ودورها الحضــارى على امتداد الأيام لا يمكن أن ينسى ولا أن يشك فيه عاقل ،

## الفكر الاسلامى والقرن الجديد

ينتقل العالم الاسلامى رويدا رويدا ، عن الأزمنة الراهنة والمؤلمة ، الى مشارف عصر جديد ؛ يريده هو أو يراد له ، ولا يمكن ان يكون هذا العصر الجديد بعيدا عن الحاضر الذى نعيشه ، كما لا يمكن أن يبتعد الفكر الاسلامى عن صياغته ، ففى هذا الفكر الاسلامى المستنير الأمن والأمان للعرب وللمسلمين عامة وللحضارة الانسانية جمعاء .

« ومصر الأزهر » بتاريخها ، وحضارتها ومواريثها الثقافية والفكرية والروحية ، قادرة على صنع المعجزة ، كما تصنع دائما المعجزات ، والعالم فى مفترق الطرق ؛ وعقب الأحداث العظام فى تاريخ البشرية .

لقد صنعت المعجزة والحروب الصليبية فى العنفوان ، فحطم صلاح الدين الأيوبى الحصار حول بيت المقدس ، وانتصر فى حطين فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر عام ٥٨٣ هـ ـ الخامس من يوليو عام ١١٨٧ م وعادت بيت المقدس الى حوزة المسلمين بعد كفاح دام نحو مائة عام .

وصنعت مصر المعجزة وجيوش المغول تتقدم الى أرضها بعد أن حطمت كل المعاقل الاسلامية من شرق آسيا الى غربها فانتصر جيش مصر بقيادة السلطان قطز ونائبه بيبرس فى عين جالوت ـ بالقرب من نابلس فى فلسطين ـ فى الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٨ هـ ـ الرابع من سبتمبر ١٢٦٠ م وحققت بهذا الانتصار الخالد للعرب ولمصر السيادة العالمية أكثر من قرنين من الزمان .

وصنعت مصر المعجزات فى مواقف بطولية كثيرة ، آخرها فى حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ ـ أكتوبر ١٩٧٣ م .

واليوم والعالم العربى والاسلامى فى مفترق الطرق لابد أن يتقدم

الفكر الاسلامى المستنير نحو صياغة هـذا التطور الجديد .. ومصر الأزهر دائمـا لها الصدارة فى صنع المعجزة ، وفى صـياغة التطور الحضـارى المنشود . لسوف نشهد عصر ازدهارا جديدا للفكر الاسلامى فى مختلف مراكز العلم والثقافة والمعرفة ، وأزهر مصر وجامعاتها وعلماؤها ومفكروها قادرون على صياغة هـذا التطور . وقد نشهد فى زمن ليس بالبعيد قيام هيئة أمم اسلامية متحدة ناديت بها سـابقاً منذ أربعين عاما فى كتابى .. « الاسـلام وحقوق الانسـان » بما يتبعه قيام هـذه الهيئة من محكمة عدل اسلامية ، وسوق اقتصادية اسلامية مشتركة ، وجيش أمن اسلامى عربى مشترك ؛ على أن يعقد سـنويا مؤتمر هـذه الهيئة المقترحة فى عاصمة من عواصم الدول الاسلامية ؛ وعلى أن ينشأ صنـدوق مشترك للتنمية والمساعدات فى داخل العالم الاسلامى وفى خارجه كذلك .

ان العالم كله ، وفى مقدمته العالم الاسلامى ، يقف على أبواب عصر جديد ، ومصر بكل مواريثها الثقافية والحضارية وبكل مؤسساتها الاسلامية والروحية قادرة على العمل من أجل الانسان وحضارة الانسان بفكر اسلامى مستنير مسـتمد من مبادىء الاسـلام السامية الداعية الى قيم السـلام والحرية والديمقراطية ؛ والمسـاواة والعدل والوحدة والإخاء ؛ والتعاون بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب ؛ والى الإبتكار والتجديد والكشف عن اسرار الله فى الكون ؛ والسير مع ارادة الله فى صنع التقدم للحياة .

## المسلمون اكتشفوا الكهرباء

— ١ —

الحضـــارة الاسلامية الزاهرة الخالدة حدث عنهـا ، ولا حرج ، حدث عن البصرة والكوفة والفسطاط ودمشق وقرطبة وبغداد وغيرها من عواصم الاسلام وما قدمته للانسانية والحضارة من أياد جليلة اعترف بها كبار المفكرين فى كل مكان .

ولقد قدم المسلمون للفكر الانســانى وللبشرية جميعا كل وســائل التقدم واســباب الرخاء والازدهار ، وعوامل النهضـــة فى شتى جوانب الحيــاة : فى الطب والهندسة والرياضـــة والفلك والفلســفة والصناعة والزراعــة والتعدين والكيمياء وشتى جوانب المعرفة والثقــافة والعلوم والآداب .

واذا كانت حضارة الغرب هى السائدة اليوم ، فان حضارة الاسلام بالأمس كانت هى الرائدة والساعية الى كل خير وازدهار ورخاء للعالم ، وقد نشأت أول ما نشأت فى منطقة الشرق الأوسط ، بيئة الحضارات ، ومجتمع المدنيات العالمية القديمة ، ومركز الحضارات البشرية القديمة : العربيـــة والمصرية والسبئية والآشـورية والبابلية والفنيقية وغـيرها ، وكانت منطقــة الشرق الأوســط على صلة بحضــارات الهند والصــين وفارس والروم .

واذا كانت المواليث الحضارية فى المنطقة قد انقطعت ، فانها لم تفقد طاقتهـا الابداعيـــة التى ظهرت فى أجلى مظاهرها فى انبعاث الحضــــارة الاســـلامية ، وهى أروع حضـــارة قادت العالم وهزته هزا عميقا حقبة طويلة من الزمان .

ويتجنى كثير من الكتاب والمؤرخين الغربيين على الاسلام ، فيصفونه بكراهيته للمدنية عامة ، وبمناهضته للفنون ، ومن بين هؤلاء كروبر .

ويرد على ذلك مؤرخ غربى آخر ، هو توينبى الذى انصف الاسلام فى كتاباته الى حد ما ، وكذلك فعل روجيه جارودى الذى انصف الاسلام انصافا كبيرا ، ودان بالاسلام ، وقال عنه انه دين العالم والمستقبل .

والعراق حين ظهور الاسلام كان دعامة الامبراطورية الساسانية سياسيا وثقافيا ، وسوريا ومصر كانتا كذلك العمود الفقرى للامبراطورية البيزنطية ، ومع ذلك فقد تجلت طاقات هذه البلدان الثلاثة ــ سوريا ومصر والعراق ــ الحضارية على يدى الاسلام ، واستعادت فى ظلاله مكانتها باعتبارها قلب العالم الاسلامى النابض بالحياة .

وكان نقل العرب للأرقام الهندية عام ١٥٤هـ / ٧٧٤ م فى عهد المنصور العباسى ، وعلى يدى ابراهيم الفزارى من اهم مظاهر التحولات الفكرية العالمية ، كما كانت ترجمتهم للثقافات العالمية من أجلّ مآثرهم على الحياة البشرية .

وكان فى بغداد عام ٢٧٩ هـ / ٨٩١ م وحدها مائة دار كتب ، وفى عام ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م كان فى بغداد ٨٨٦ طبيبا .

وقد قام سبعون عالما جغرافيا من المسلمين فى عهد المأمون العباسى برسم خريطة الأرض ، وكان قيام بيت الحكمة فى بغداد عام ٨٣٠ م/٢١٤ هـ من الأحداث الثقافية الكبرى .

ـ ٢ ـ

ولو اردنا استعراض مظاهر التحولات الحضارية على ايدى المسلمين لما وسعنا الحديث عن ذلك المجد الباذخ الذى ورثه الاسلام للشعب المسلم فى كل مكان ، بل وللشعوب العالمية كافة .

والكهرباء التى تقود حضارة العالم اليوم والتى كشف عنها الغرب ، هل عرفها العرب فى ظلال حضارة الاسلام .

قد يبدو لأول وهلة أن من المجازفة أن نؤكد أن الكهرباء قد عرفها المسلمون واستعملوها أيضا فى خلال الحضارة الاسلامية ــ التى اظلت العالم من مشرقه حتى مغربه حقبا طوالا بالذات .

والأمر حول ذلك غريب صدقا وحقا ، ففى عام ١٩٣٦ عثر عمال مد الخطوط الحديدية ، فى بغداد على أوان فخارية وعلى اسطوانة نحاسية وقضبان حديدية يعلوها صدأ كبير ، وكانت موضع فحص طويل ، أكد بعده متحف الآثار العراقية انها بطاريات كهربائية بدائية ، وجاء فى تقرير المتحف : وجدنا شيئا غريبا الى حد بعيد : وعاء فخارى مثل آنية الزهور ، لونه أبيض يميل الى الصفرة ، وكانت قد انتزعت فوهته ، وبالوعاء الفخارى اسطوانة نحاسية جرى تثبيتها بالزفت ، وبداخل الاسطوانة ومعزول عنها بطبقة من الزفت قضيب حديدى يعاوه الصدأ تماما .. ومن الواضح انه عبارة عن جهاز كيميائى ، يمكن أن تضيف اليه محلولا حمضيا أو قلويا حتى يشرع فى العمل(١) .

وهذا الأثر التاريخى دليل على ان أهل بغداد كانوا يستخدمون الكهرباء ، وأن العالمين فولتا وجالفانى الذين نسب اليهما اختراع أول بطارية كهربائية هما مسبوقان بمخترع مسلم قديم ، وهما كذلك قد كشفا عن صنيع هذا المخترع المجهول وقدما هذا الصنيع للعالم على انهما المبتكران له .

ودليلنا على أن هذه البطارية من اختراع مسلم عربى أن بغداد مدينة اسلامية المولد والنشأة ، فما يقال من أن الفرس كانوا يسكنون تلك المنطقة

---

(١) يقول د . يوسف عز الدين فى كتابه « تراثنا والمعاصرة ص٤٣ » : كان المهندس الألمانى « وليام كوننك » فى بغداد يشرف على مجاريها سنة ١٩٣٠ فعثر على صندوق صغير يحتوى على أشياء قديمة عليه كتابة عربية ، وعند فتحه وجد بين الأشياء التى يحتو بها صفيحة كهربية تتركب من أقطاب من الحديد والنحاس ومن محلول لم يحددوه ، يرجع عهدها الى عدة قرون وقد اشترتها جامعة بنسلفانية ، وظهر بعد الفحص أنها أنموذج للبطاريات الحديثة ، وبرهان على أن العرب اكتشفوا الكهرباء .

قبل ظهور الاسلام هو مجازفة فى القول ، أو كلام بغير دليل ، والباحثون الغربيون دائما لا يرضون أن ينسب شيء الى حضارة الاسلام .

وفى تقرير المشرف على متحف الآثار العراقى فى بغداد ، وهو المانى واسـمه ولهلم كوَينيج ، أن هـذه البطاريات الكهربائية كان يتم توصيلها بعضها ببعض لمضاعفة قوة التيار الكهربائى الصادر عنها ، وكان الغرض من هـذه البطاريات طلاء الحلى بالذهب عن طريق الترسيب الكهربائى .

ويقول العالم البريطانى والتروينتون لما قام بزيارة لبغداد عام ١٩٦٢ : قل لأى عالم طبيعى أن التيار الكهربائى كان يستخدم قبل جالفانى بحوالى بضعة عشر قرنا ، وهـذه الواقعة الأثرية اذا ثبتت علميا فان ذلك سيعد أكبر حدث فى تاريخ العلم .. على أنه لم يملك الا أن صاح بملء فيه :

انها خلية كهربائية بدائية ، ولقـد نظرنا الى قدرات البشر القدماء بكثير من الاستهانة .

ويؤكد عالم ألمانى آخر ، هو آرن ايجيريشدا ، أنه لا يمكن أن يعنى هـذا لأى عالم سوى أنه عمـود كهربائى أو بطارية ، ووجود مثل هـذه البطارية فى ذلك الوقت يمكن أن يساعد على كشف ألغاز فشل علماء الآثار فى كشـفها .

على أن اسـتخدام الكهرباء فى القـديم كان هو من أهم عناصر عام الكيمياء القـديم الذى كان يسـعى الى تحويل المعـادن الخسيسة الى معـاون ثمينة .

— ٣ —

هـذه الحقيقة التى أكدها العلمـاء والأثريون قرأت عنها فى كتاب « بطل الأبطال » لعبد الرحمن عزام جملة صغيرة ، ثم قرأت عنها ضمن مقال نشره راجى عنايت فى « المصور » عدد ١٩٨٣/١/٢٠ بعنوان « أسرار حيرت العلمـاء » ص ٣١ .

والمقال ينسب البطارية الى سكان منطقة بغداد من الفرس ، وهو كلام مردود لسبب بسيط ، وهو أسلامية مدينة بغـداد مولدا ونشأة وحضارة ... وهـذا أنصاف للتاريخ .

# انســانية الاســلام

أروع ما فى ديننــا العظيم هــو عظمة جوانبه الانســانية عامة ، تشريعاته ، أصوله ، مبادئه ، قيمه الرفعية .

لقــد اهتم بالانســان من حيث هو انســان ، وبرعاية حقــوقه ، الحفــاظ على كرامته ، الارتفــاع بمعنوياته ، اشــعاره بالعزة والكرامة والطهارة ، ارتفاعه به الى مستوى العزة والشــموخ والصمود والرجولة الحقة ، الحفاظ على نفسه وعرضه وماله ، توفير الحرية له ، اشــعاره بالمسئولية ، غرس كل بذور الخير فى نفسه ، ومن اجل ذلك اوجب على الآباء طهارة العرض والنفس والمــال ليكون الابن عزيزا كريما نبيل الخلق والنفس والروح .. وما أروع قوله عز وجــل : « ولقد كرمنــا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبــات » ، فى اشــارة رفيعة الى أن الله عز وجــل هيــأ للانســان كل الأســباب المــادية للارتفــاع بكرامته وبانســانيته .

ويبدو اهتمام الاسلام كبيرا بالفقير والمريض والطفل والمراة والعامل ، بل والخادم والأسير والمحبوس ، بل والحيوان ايضا .

ولتعزيز الجانب الانسانى فى الاسلام كانت أعمال البر المشروعة فى الاسلام من صدقات وزكوات واحسان وكرم وجود ، وفى الحديث الشريف « كان رســول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة » ولتعزيز هــذا الجانب الانسانى فى الاسلام أيضا كان رمضــان ، وكانت شريعة الصــيام ، وكانت الزكاة وصــدقة الفطر ، والدعوة الى زيادة البر والاحســان فيه ، وكان كذلك العيد اشــعارا بحب المسلم للخير ، واقباله على عمل الخيرات ، وســعيه الى كل اريحية ومكرمة ومحمــدة وجوع الصائم فى رمضــان هو فى أساسه حرص على اشعاره بألم الجوع ؛ ليتضاعف فى قلبه الاحساس بآلام الفقراء والمعوزين والبائسين ، والزكاة هى فى أصلها دعوة كريمة مفروضة وواجبة الى الخير ؛ والى رفع الضر عن المحتاجين ، وقد تكرر الأمر بها فى كتاب الله الحكيم اكثر من خمسين

مرة ، والذين صاموا فى رمضـــان أكثر شـــعورا بذلك ، كل ذلك للارتفاع بمعنويات المسلم ليصبح أهلا لتلقى أوامر الله عز وجل بالقبول ، وفى مقدمة هذه الأوامر كفالة اليتيم والعطف على المسكين ودفع حاجة الفقير ومشاركة البائسين والمرضى والمنكوبين والمهمومين آلامهم ومشاعرهم ..

وحقوق المســـلم على المســـلم كثيرة ، وحق الجار على الجار كبير ، وواجب الانسان نحو نفسه وأسرته والمجتمع الذى يعيش فيه ، واجب جليل وعظيم الأهمية فى حياة المسلمين كافة .

ومن انسانية الإسلام أنه يفرض على المسلم أن يكون داعية أمن وسلام بين الناس ، والا يروع أحـــدا أو يؤذى انســـانا أو يعتدى على شخص ، وفى ذلك كان تحريم القتـــل وسفك الدماء والسرقة والزنا والاســـتغلال والجشـــع وأكل أموال الناس بالباطل ، والاعتـــداء على حقوق الغير .. ولذلك فرض الاسلام على المسلم أن يحافظ على نفسه ، فلا يقرب المنهيات والمنكرات ولا الإثم ولا يقترف الشر ولا يأتى ببهتان حفاظا على الانســـانية فى الانســـان ، وشعارنا هو « السلام عليكم » شعار أمن وطمأنينة وحب وســـلام ... والانسانية السمحة الكريمة التى يتصف بها ديننا تتلخص فى حب الخير لكل الناس والمجتمعات والشعوب .

انســـانية الاسلام ، وما أروعها وأعظمها فى ديننا الكريم ، انســـانية بناء وتقدم وتجديد وخير للانســـانية كافة ، انســـانية تبنى ولا تهـــدم ، وفيها كل العزة والكرامة والشموخ للمسلم فى كل مكان .

## تراث الشعوب

الحضارات الانسانية دائما هى ثمرة الرسالات السماوية المقدسة ، لأنها حضارة يبنيها العقل الانسانى الموجه بتعاليم السماء ، فهى حضارة الروح لا المادة ، حضارة العقل والفكر والضمير الحى والابداع المتصل ، وحضارة الانسان الملتزم بالقيم النبيلة الانسانية .

وكلما أخذت الحضارة من النبعين نبع الروح ونبع العقل ازدهرت وازدادت ازدهارا ورسوخا ونماء .

الحضارة هى جزء من تراث الأمم والشعوب وهى زاد من مدخرات الدول ورصيدها القومى ، وهى الشعلة الوهاجة التى تضىء للأمم طريقها نحو الإزدهار والرخاء والسلام ، فهى اذن فى العمل على السير بها نحو المستقبل الذى نبحث عنه ، والغاية التى ننشدها . ومن الواجب ان تزدهر الحضارة يوما بعد يوم وأن يكون حاضرها خيرا من ماضيها ، وأن يكون مستقبلها أفضل من حاضرها ..

والحضارة ابداع دائم مستمر ، فاذا ما فقد الانسان القدرة على الابداع ، واذا ما فقد طاقته ، ولم يتسن له ان يصبح ابداعه مبهرا ، ووقف أمام قوة الآلة العظيم مشدوها حائرا ، حالت الرهبة فى قلبه بينه وبين العلم والعمل ، فان الحكم القاسى الذى ينتظره سيكون رهيبا لأن معناه وقوف مسيرة الحضارة وهى فى قمة الازدهار .

ان عجلة الحضارة لتبدو جليا انها تسير الى الوراء ، وأنها صارت تعنى بالماديات دون الروحيات والمعنويات ، وانها اصبحت مصدر عذاب للانسان ، لا مصدر سلام وأمن وان المواهب العظيمة صارت شبه مفقودة ، وصار الابداع الحقيقى شبه معدوم ، وضعف أمر الفن والثقافة عند أجيال الشباب ، وذلك كله قد ادى بنا الى ضعف ملموس فى الصناعة ، بل وفى كل شيء : فى الثقافة والتربية ، فى الابتكار والتجديد ، وفى الفنون عامة ، وفى كل مجال للموهبة الانسانية .

طالب الجامعة اليــوم لم يعد هو طالب الجامعة بالأمس ، الموظف اليــوم غيره بالأمس ، الفــلاح والعامل والصــانع ، والرسم والصــورة والفن ، وكل عمل مبدع لم يعد كما كان بالأمس .

تغيرت الأمور كثيرا عن ذى قبــل ، وكان تغيرها الى الأسوأ لا الى الأحســن . والى الوراء لا الى الأمــام .. فى التعليم ، فى الصــناعة ، فى الزراعة ، فى الفنون والآداب والفكر ، الى غيرها .. ولم نعد نجد مثل عباقرة الأمس فى كل مجال .

قد يكون السبب فى ذلك السرعة التى يؤمن بفلسفتها اليــوم عصرنا الحضارى ، وقد يكون السبب يكمن فى فقدان المعنويات والروحيات والمثل من عالمنا الحضــارى ، وقد يكون السبب هو فقدان الانســان لحريته وكيانه وشــخصيته أمام جبروت الآلة العظيم .. وقد يكون غــير ذلك من الأســباب .

انا افهم أن جيل اليوم من الحتم أن يكون احسن من جيل الأمس ، وأن جيــل الغد يجب أن يكون افضل من جيــل اليوم ، ولكن الأمر على العكس من ذلك تماما ، ومعنى ذلك أن الميزان اصبح مقلوبا ، واننا سنعيش عصرا مقبلا ترى فيه فناء الحضــارة واندثارها ، أو عودة الى حضــارة اخرى ذات قيم ومعنويات ، وليست هى الا حضــارة الاسلام .

هل لابد أن تكون حياتنا دائما مهددة بانقراض كل ما بنته الانسانية لنا من قبل ، من مثل رفيعة طيلة العصور والأجيال ؟

قيام حضارة جديدة اليوم أمر أصبح مفروضا أصبح شبه قريب ، بعد أن شاخت حضارة أوربا .

لابد اذن من أن يضىء آفاق الحياة البشرية نور جديد ، وليس هذا النور سوى اضواء حضارة الاسلام ، فالرجوع اليها أمر حتمى لابد منه . وما اصدق ما يقول الله الكريم :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » . ( ٥٣ ــ فصلت ) ــ صدق الله العظيم

# الأمانة مسئولية

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا » .

( ٧٢ ـ سورة الأحزاب )

أمر الأمانة عظيم ، وشأنها جليل ، ومقام الالتزام بها كبير ، عرضها الله عز وجل على السماء والأرض والجبال ، فامتنعن عن حملها ، وأشفقن على أنفسهن من حملها ، ولكن الانسان حملها ، استخفافا بها ، وجهلا بشأنها ، وظلما لنفسه بحملها .

والأمانة هي كل ما ائتمن الله عباده عليه من واجبات ومسئوليات والتزامات ، من طاعات وعبادات ، من حقوق وارتباطات نحو نفسه ، ونحو أهله وعشيرته ومجتمعه وأمته ، ونحو الانسانية كافة ، كل ما ائتمن الله الانسان عليه من مال أو عرض أو روح ، من شرائع ورسالات ودعوات صالحات الى الله والى الايمان والتوحيد وعبادة الله الواحد القادر المهيمن .

الأمانة تدخل في كل شيء ، في اداء العامل لعمله بنزاهة وشرف ، في رعاية الشاب لأبويه دون ضجر أو ملل ، في تهذيب الأب لأبنائه ودعوتهم الى الالتزام بعبادة الله وطاعته ، في قيام كل انسان بعمله على الوجه الأكمل دون ضجر أو ملل ، في حرص الأم على مال الزوج وعدم التبذير فيه .. في قيام الابن بمذاكرة دروسه دون اهمال أو كسل .. وعلى الجملة فان الأمانة تدخل في كل شيء ، والالتزام بها واجب في كل موقع ، وهي فرض على الحاكم والمحكوم ، على الكبير والصغير ، على الرجل والمرأة ، وغير ذلك من شتى طبقات المجتمع الاسلامي .

ويتضاعف شأن الأمانة خطرا في الحروب والمحن التي تنزل بالأمم ، وكذلك كلما كان الانسان في يده مصالح الأمة والشعب ، عندئذ تصبح الأمانة مسئولية ، وتصبح المسئولية التزاما ادبيا لا مفر منه .

واذا كان الانسان قد ائتمن على اسرار الأمة ، فعندئذ تصبح مسئوليته كبيرة ، وتصبح أمانته ضرورية الوفاء .. لأن التفريط فيها قد يفقد الأمة مستقبلها السياسى ، بل وحاضرها أيضا .

الأمانة جزء مقدس من واجب أسمى ، وفرض محتوم ، والاسـلام يطالب المسلم بأداء الأمانة ، والوفاء بها ، ويجعل ضياع الأمانات من علامات قيام الساعة ، وفى الحديث الشريف : (اذا رفعت الأمانة فارتقب الساعة) .

من أجل ذلك نهيب بالمسلم الحقيقى أن يلتزم بتعاليم الاسـلام ، وأن يحافظ على أمانات المسـلمين عنده ، وأن يقوم بأدائها من غير مطل أو تسويف .

الأمانة وما أدراك ما الأمانة ، هى التى أوصى الأنبياء والرسل وكتب السـماء بالمحافظة عليها ، وبأدائها لأصحابها ، فذلك دليل على الايمان العميق ، والعمـل الجليل الصالح ، وعلى الأمة الاسـلامية الحقيقية ، وعلى الاخلاص لله رب العالمين .

الأمانة أمر مقـدس ، وواجب مفروض ، من ديننـا ، ومن كتابنـا ورسولنا ، من الله عز وجل والملائكة والناس اجمعين .

وجواسيس الأمم فى الشرق والغرب تتعقبهم الدول والمجتمعات لأنهم خانوا الأمانة وشريعة الوفاء ... وليس هنـاك أخطر من الأمانة وحملها والالتزام بها ، ان شأنها لجليل وأمرها لخطير ، وان الانسان حقا ليظلم نفسه هو حين يفرط فيها بينما هو ملتزم بالوفاء بأمانات الله ورسـوله والناس اجمعين .

# القرآن الكريم معجزة السماء

## — ١ —

سبحان الله العظيم ، مالك الملك ، ذى الجلال والاكرام ، ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ﴾ .

ما من شيء اخبر به القرآن الكريم ، الا وكان الحق صداه ، والا وايد التاريخ مضمونه وفحواه .

وما من نبر اخبر به القرآن المجيد الا وسيقع كما اخبر به كتاب الله العلى الحميد .. هزم الفرس الروم واستولوا على البلاد التى كان الروم يحكمونها قبيل الهجرة ، ونزل القرآن الكريم يقول ﴿ غلبت الروم فى ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .

ولم تمض الا سنوات واذا بالروم المستضعفين يهبون فجاة ، ويستردون كل الأرض التى اخذت منهم ويهزمون الفرس هزيمة منكرة ، وكان ذلك عام بدر [ ٦٢٤ ميلادية /٢ للهجرة ] .

ولنقف هنا بين يدى الآية الكريمة ، فقال الله تعالى فى كتابه الحكيم :

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴾ . ( سورة الشورى )

الآيات : جمع آية ، ومعناها هنا : المعجزة الدالة على قدرة الله وعظمته .. وتطلق الآية فى استعمالات اخرى ويراد بها العبرة والعظة ، او العلامة والدلالة ، او الفقرة من فقر سور القرآن الكريم : ولكل هذه المعانى شواهد من كتاب الله عز وجل ، وليس هنا مجال ذكرها .

وخلق السموات والأرض معجزة المعجزات ، وهو ايضا دلالة على قدرة الله وعظمته وجلاله .

وخلق الكائنات والموجودات التى بثها الله فى السموات والأرض ، ونشرها وفرقها فيهما أيضا معجزة من معجزات الخلاق العظيم ، والإله القادر المهيمن الحكيم .

والدابة : اسم لكل ما يدب على وجه الأرض والسماء من ملائكة وجن وأناسى ، وحيوانات .

والخالق الأعظم ، الذى صنع كل هذه المعجزات هو وحده على جمع كل ذلك قدير مقتدر . وعلماء التفسير يقولون : ان هذا الجمع سيحدث يوم القيامة . والتعبير بميم الجمع فى قوله تعالى : ﴿ وهو على جمعهم ﴾ دلالة على انه يريد ما فيه روح ، من اناسى ، وجن وملائكة ، وانا ارجح ان يكون المراد هنا من اناسى ومن الكائنات الموجودة فى الأرض والسماء دون الملائكة بدلالة ميم الجمع من ناحية ، وبدلالة المعنى من ناحية ثانية ، اذ ان هذا الجمع لابد ان يكون لكائنات تتآلف وتتفق فى الوجود الانسانى .

وارجح كذلك ان يكون هذا الجمع ، اى اللقاء ، فى الدنيا ، لأنه هو المعجزة التى لا يتصورها العقل البشرى ، اما اللقاء بين الكائنات ــ كائنات الأرض والسماء ــ فى الآخرة فهو بدهى مادام النشور والبعث والقيامة مما يجب ان يؤمن به المصدق بكتاب الله عز وجل ، اما اللقاء فى الدنيا فهو الذى لم يوجبه علينا ، ولم يفرضه علينا ، الكتاب الحكيم ، وهو موضع الغرابة والعجب ، لأن ما فى يوم القيامة معجزات فى معجزات ، يجب علينا الايمان بها ، ولكن اللقاء فى الدنيا وان كان معجزة أيضا ، الا انه لا يدخل فى اصول العقيدة ، فهو اذن من دلائل القدرة الالهية ، وهو اذا اراده الله معجزة من معجزات السماء ، عنى القرآن الحكيم هنا بتسجيلها والنص عليها ، وعلى انها آية من آيات الله . ولو كان اللقاء فى الآخرة هو المراد هنا لما جاء قوله ﴿ اذا يشاء ﴾ لأن من البدهى ان الله عز وجل قد شاء هذا الجمع فى الآخرة على سبيل القطع ، لا على سبيل الفرض الموجودة هنا فى الآية الكريمة والفرض هنا مؤكد الوقوع بدلالة ( اذا ) .

فالمعنى المراد أن الله عز وجل قادر على جمع كائنات الأرض والسماء ، وعلى ايجاد اللقاء بينهما ، عندما يشاء ، ووقت ما يريد .

وهـذه هى المعجزة التى يتنبأ بها القرآن الكريم ، فالآية تدل على ان فى الكون والكواكب الأخرى حياة ، وأن فيهـا كائنات مثل الانسـان ، وانه سـيحدث لقاء بين انسـان الأرض وكائنات هـذه الكواكب عنـدما يشـاء الله تعـالى .

— ٢ —

واظن أنه قد حان وقت هـذا اللقاء ؛ فالعلمـاء يرسلون مراكب الفضـاء بين حين وآخر ، لاكتشـاف الكواكب الأخرى ، ومعرفة مدى ما فيها من حياة ، ونوع هـذه الحياة ، وهم يخططون الآن للنزول على سـطح المريخ لاكتشـاف الحياة فيـه وجاء فى صـحيفة الأهرام المصرية [ ١٦ مايو ١٩٩٣ ] تحت عنـوان « البحث عن حياة اخرى فى الكون » : من المتوقع وجود العديد من الحضـارات ، وبدرجات متفاوتة فى أرجاء الكون ، وهذه الحضارات ان وجدت وبناء على درجة تقدمها التكنولوجى ، قد تحاول الارتباط والاتصال بعضها ببعض ، ومحاولاتنا للاتصال بهـذه الحضـارات الخارجية سوف يكون له تأثير هائل على نظرياتنا العلميـة الحاليـة ، وعلى نمو وتطور هـذه الحضارات ، وهـذا بالطبع يحتـوى بالدرجة الأساسية ، حضاراتنا الانسانية على وجه الأرض » ... وتسترسل الصحيفة فى الحديث عن طرق هـذا الاتصال ، الى أن تقول : ان اهتمام الانسان بمحاولة الكشف عن هـذه الحضارات والاتصال بهـا بلغ مدى كبيرا الى درجة أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تنفق عشرة ملايين من الدولارات كل عام ولمدة الأعوام الخمسة القادمة ، على ابحـاث محاولة اكتشاف حضارات أخرى كونية والاتصال بهـا ، وليس هنا من الناحية النظـرية بالضرورة ما يمنع من وجود حضـارات اخرى تقبع فى أحـد أركان المعمورة .

— ٣ —

وبعد فانى اقول : اليس فى ذلك كله دلالة على ان العقل الانسانى يخطط من قريب ومن بعيد للتعجيل بهذا اللقاء ، بين كائنات الأرض وكائنات الكواكب الأخرى التى يرجح العلماء وجودها على سطح المريخ أو غيره من الكواكب .

ان القرآن الكريم منذ نحو خمسة عشر قرنا من الزمان قد أشار الى اللقاء بين انسان الأرض وكائنات الكواكب الأخرى ـ السماء ـ وجعل ذلك مرهونا بوقت مرده مشيئة الله عز وجل وارادته .

وفى هذا دلائل عظمة كتاب الله الكريم ، القرآن الحكيم ، وأنه من عند الله حقا ، وأن كل ما جاء به الكتاب المنزل من السماء انما هو على لسان المولى الأعظم ، والخالق الأكبر والمدبر الأعلى لهذا الكون الكبير بنجومه وكواكبه وافلاكه وسياراته ومجراته العظيمة التى يحار العقل البشرى فى تصورها .

— ٤ —

● لقد قال الله عز وجل فى كتابه الحكيم : ﴿ لتركبن طبقا عن طبق ﴾ [ ١٩ الانشقاق ] ، ولم نعرف تفسير هذه الآية وأن معناها اختراق طبقات الفضاء والصعود الى كواكب اخرى كالقمر الا بعد أن قال العلم كلمته ، وصعد الانسان بالعلم الى القمر ؛ وقال عز وجل فى كتابه الحكيم : ﴿ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ﴾ .

وكان معنى ذلك ان الانسان اذا قدر ان يخترق طبقات الفضاء . فليفعل ، وأنه لن يستطيع ذلك الا بسلطان عظيم من العلم الذى علمه الله للانسان . وتحقق ذلك باختراع العقل البشرى للصواريخ والمركبات الفضائية المذهلة .

وجاءت هـذه النبوءة القرآنية الخالدة فى القرآن الكريم ، نبوءة اللقاء بين انسان الأرض وكائنات الكواكب الاخرى ، التى لم تتحقق بعد وستتحقق باذن الله ، لأن الله عز وجل قد شاءها ، والتعبير فى آية الشورى الكريمة : ﴿ وهو على جمعهم اذا يشـاء قدير ﴾ بلفظة اذا التى تستعمل فيما هو قريب من الوقوع وسيقع ، للدلالة على أن ذلك سيحدث باذن الله ومشيئته ، كما تقول لصديق لك « أزورك اذا تشـاء » ، للدلالة على أن المشـيئة ممكنة ، وأن الزيارة قريبة من الوقوع ، وفى حـدود الامكان الذى لا استحالة فيه ولا شـبه استحالة . ﴿ يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ﴾ . ( سورة الانفطام )

ويا أيتها الانسـانية ، اصبخى بسـمعك لتسمعى هـذه النبوءة ، التى نزل بها الذكر الحكيم ، منـذ نحو خمسة عشر قرنا من الزمان ، وتسمعى لهذه الآية الكريمة التى جاء فى ختامها قوله تعالى : ﴿ وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴾ . ست كلمات تحمل لنا هـذه النبوءة الجليلة ، نبوءة اللقاء بين انسـان الأرض وكائنات الكواكب الأخرى ، التى لا يصدقها عقل الانسـان ، بل ولا يكاد يصدقها عقله اليوم ، والتى لابد أن يعيها العقل الانسـانى ، عندما تقع وتحدث ، فى أعوام قريبة قادمة . وعقل انسان عصر الرسـالة المحمدية معذور حقا اذا لم يفهم معنى هـذه الآية الكريمة ، بل وكذلك عقل انسـان العصور التى تلت عصر الرسـالة ، اذ كيف كان فى امكانه أن يعـرف ذلك ، وأن يعيه ويفهمه ويعقـله . وانسـان اليوم عاد فى عصر الفضـاء الى التأمل ، والى الايماء بأن هـذا اللقاء أمر ممكن الحدوث ، بل وقريب الوقوع أيضا .

عصر الفضـاء جعل تصور ذلك كله أمرا سـهلا قريبا من الفهم ، بعد أن كان أمرا اسطوريا محالا غريب التصور ، مستحيل الامكان . فليسكن روع الانسان والانسانية ، وليخفض صوت المـاديين والعلمانيين والملحدين .

لقد قال العلم كلمته اليوم ، بعد ان قالها القرآن الكريم منذ نحو خمسة عشر قرنا من الزمان .

فلتنتظر البشرية والعالم اليوم القريب ، الذى يعلن فيه العلم كلمته ، ويقول لنا : هـذا هو كائن كواكب السماء يقف اليوم بجوار انسان الارض ، ليؤكد لقاؤهما ان الله حق ، وانه قادر ، وان الله عز وجل على جمعهم اذا يشاء قدير ، وصدق الله العظيم .

— ٦ —

لا يزال العلماء يوالون البحث لمعرفة ما اذا كان فى الكواكب الاخرى حياة أم لا ، وهم يرسلون السفن الفضائية بين حين وآخر لمعرفة ذلك ، والكشف عن حضارات غير حضارة كوكبنا الأرضى ، وهم بين مثبت وبين ناف لوجود حياة واحياء وحضارة اخرى غير حضارة الأرض !

ونحن نؤمن حقا ان الكون فيه حياة غير منظورة لنا ، بما يحتويه من ملائكة وجن لا نراهم ، وهم يروننا ، ولكن وجود الانسان فى الكواكب الكونية الأخرى هو مناط البحث .

واقول ان القرآن الكريم يؤكد حقيقتين :

**الاولى :** وجود اناسى فى عالم الكواكب السيارة الاخرى أو فى احداها على الأقل .

**والثانية :** كشف انسان الارض لهؤلاء والالتقاء بهم فى الوقت الذى يريده الله عز وجل .

وهاتان الحقيقتان ترشد اليهما الآية الكريمة من سورة الشورى [ رقم ٢٩ ] وفيها يقول الله عز وجل :

**« ومن آياته خلق السموات والارض ، وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » .**

«بث: فرق ونشر ـ دابة: ما يدب على الأرض من اناسى وحيوانات».

يقول الله عز وجل فى هـذه الآية الكريمة : ان من معجزات القدرة الالهية الدالة على وجود الله وعظمته خلق السموات والأرض ، وايجاد الحيـاة فيهما ، بما على ظهرهما من اناسى ، والله عز وجل على جمع شـمل انسـان الأرض بانسـان الكواكب الأخرى اذا أراد قدير ، لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السـماء .

قد نقول : ان الذى يدب على ظهر الكواكب الاخرى قد يكون هو الملائكة أو الجن أو حيوانات أخرى .

ونقول : كلا لأن الذى يدب عليها لابد أن يكون من جنس الذى يدب على ظهر الأرض وهو الانسـان المقصود بالذات !

وقد نقول ، كما قال المفسرون ، ان هـذا الجمع سوف يحدث يوم القيامة فى المحشر .

وأقول : انه لا دليل على تخصيص هـذا الجمع بالآخرة ، ولم لا يكون فى الدنيـا ؟

والتعبير باذا هنا فى قوله تعالى : « اذا اشـاء » للدلالة على امكان حدوث ذلك وتوقع حصوله كما فى قوله تعالى : «اذا جاء نصر الله والفتح» ، أى ان ذلك ممكن وقريب الوقوع ، وكما يقول الأب لابنه : اذا نجحت فلك جائزة ثمينة ، للدلالة على تفاؤله بحدوث ذلك أى النجاح وقرب حصوله .

والمعنى : أن الذى خلق الحياة على ظهر الارض هو الذى خلقها على ظهر الكواكب الأخرى ، وأن التقاء المخلوقات هنا وهناك ممكن وقدرة الله عز وجل كفيلة بتحقيق ذلك فى الزمن الذى يريده الله جلت قدرته .

وليس بعد ذلك بيان ، وحسبنا ما نطق به القرآن .

## الدين ضرورة انسانية

## — ١ —

يقول هنرى برجسون : ( لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لا توجد قط جماعة بغير ديانة ) .

وفى معجم لاروس للقرن العشرين : ( ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، وان الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية .

وفى هذا رد على الشيوعيين والملحدين وأشباههم ، والعجيب فى فلسفة ( أوجست كونت ) أن تذهب مذهبا ماديا حين قررت ان العقلية الانسانية قد مرت بأدوار ثلاثة : دور الفلسفة الدينية ، ثم دور الفلسفة التجريدية ، ثم دور الفلسفة الواقعية ، وتجعل هذا الدور الثالث آخر الأطوار وأسماها .

وخير رد على ( أوجست كونت ) وأشباهه هو ما يقوله الدكتور ( ماكس نوردو ) : ( هذا الشعور الدينى أصيل يجده الانسان غير المتمدين ، كما يجده أعلى الناس تفكيرا وأعظمهم حدسا .. وستبقى الديانات ما بقيت الانسانية ، وستتطور بتطورها ) ، وما يقوله ارنست رانان فى تاريخ الأديان : إن من الممكن أن يضمحل كل شىء نحبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى ، الذى يريد أن يحصر الفكر الانسانى فى المضايق الدنيئة للحياة الأرضية .

ويقول ( محمد فريد وجدى ) فى مادة ( دين ) فى دائرة معارفه : ( يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين ، لأنها أرقى ميول النفس ، وكرم عواطفها ، ناهيك بميل يرفع رأس الانسان ، بل أن هذا ( الميل ) سيزداد ، ففطرة التدين ستلاحق الانسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح ، وستزداد هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه .

ان عصر الفضـــاء الكونى الذى بدات الانسانية تدخل فيه ، سيعزز فكرة الايمان والتدين فى النفس البشرية بما يتجلى فيه للانســـان من عظمة الكون وجلاله وســـعة كواكبه واقماره وشموسـه .

واذا كان بعض الباحثين قد وقفوا امام نشأة العقيدة الدينية يعللونها بأن الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية ، وان الانســـان اخذ يترقى فى دينه على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوجه ، كما تدرج نحو الكمال فى علومه وصناعاته .. حتى زعم بعضهم ان عقيدة الاله الاحد عقيدة جد حديثة ، وانها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامى... فان هناك فريقا كبيرا من علماء تاريخ الاديان يقررون ان عقيدة الخالق الاكبر هى اقدم ديانة ظهرت فى البشر ، والوثنيات ان هى الا اعراض طارئة او امراض متطفلة بجانب هـذه العقيدة العالمية الخالدة ، وهـذه هى نظرية فطرية التوحيد واصالته التى انتصر لها جمهور من علماء الاجناس وعلماء النفس ، ومن اشـــهر مشـاهيرهم ( لانج ) الذى اثبت وجود عقيدة الاله الاعلى عند القبائل الهمجية فى اســـتراليا وافريقيا وامريكا ، ومنهم ( شريدر ) الذى اثبتها عند الاجناس الآرية القديمة ، و ( بروكلمان ) الذى وجدها عند الساميين قبل الاسلام ، و ( شميدت ) عند الاقزام وقبائل من استراليا ، وقد انتهى بحث ( شميدت ) الى ان فكرة الاله الاعظم توجد عند جميع الشــعوب الذين يعدون من اقدم الاجناس الانسانية .

وهـذا مصداق قوله تعالى فى القرآن الكريم : « كان الناس امـة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لمـا اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » .

— ٢ —

نعم الدين فطرة الله التى فطر الناس عليها لابد منه ، لا غنى لا بناء بدونه .. ولا حضارة بغيره . ولا تقدم او رخاء عند فقدانه .

الدين هو السعادة فى الدنيا والاخرة وهو الطمانينة النفسية فى خضم الحياة ، وهو المنقذ للغرقى فى لج الاحداث .. هو دائما صمام الأمان .

ولقد سيطر الفكر الغربى العلمانى والالحادى والوجودى والماركسى على العقل الأوروبى سيطرة شديدة ،!وحورب الدين حربا شعواء ونظرت اليه المذاهب المعتدلة على انه تراث يأخذون منه حينا ويرفضونه حينا آخر .. واعتبرته المذاهب الاخرى خرافة وأسطورة ، ونظرت اليه الماركسية على انه عبث لا يمكن قبوله . وهكذا جوبه الدين من العقل الغربى مجابهة شديدة وتجاوز هذا العقل تراث العصر المسيحى الى تراث اليونان والرومان .. واعتبرت الآداب اليونانية واللاتينية هى المنجم الذهبى الذى يرجع اليه ادباء عصر النهضة .. وعادى الكتاب والمفكرون والعلماء والأدباء والشعراء الفكر الدينى عداء شديدا .

وحين سيطرت العبثية فى منتصف القرن العشرين انهالت على الشعور الدينى بالنقد والعداء .. ومن قبل اعلنت المدرسة الجمالية عدم الالتزام بقيم المجتمع الخلقية والدينية وهى فلسفة القرن التاسع عشر حتى قال اوسكار وايلد : « ليس ثمة كتاب يوصف باللااخلاقى » ..

بينما صرح اندريه مالرو فى كتابه ( اغراء الغرب ) عام ١٩٢٥ بأنه فى « القلب من الانسان الأوروبى عبثية جوهرية تسيطر على اللحظات الكبرى فى حياته .. ومسرحيات اللا معقول تعبر — كما يقول د. اكرم العمرى فى كتابه « التراث والمعاصرة » عن خيبة الأمل وضياع اليقين وتظهر انعدام روح الدين وضياع العقل ، وهو فكر عام يميز هذه المرحلة من تاريخ الحضارة الغربية فى النصف الأول من القرن العشرين وقد جعل الكتاب المسرح مركز تجمع لصراع الخيال البشرى الدائم ضد الروح الدينى .. وعانت الحضارة الغربية بسبب ذلك كله الهوان بسبب الخواء الروحى والافلاس الخلقى .. مما يعرضها للسقوط ، ولقد عبر عن ذلك كولن ويلسون بوضوح فى كتابه ( اللامنتمى وسقوط الحضارة ) وأخذت الآداب الأوروبية تعيش مع الأساطير اليونانية وتستمد منها وترجع اليها

متجاوزة فكر العصور الوسطى بفلسفتها المسيحية الى قيم الحياة اليونانية والرومانية بما تحمله من عنصرية وصراع وحب للقوة ، وانغماس فى الشهوة والمادة وصارت حركة الاحياء سمة للحضارة الغربية المعاصرة والتى لم تعد النصرانية تمثل فيها اكثر من صيغة باهتة امام الالوان الناصعة للمادية الالحادية المهيمنة .

ومن هنا نرى من يمجد العصر اليونانى القديم من امثال الشاعر الانجليزى بايرون .. والشاعر الألمانى هلدرلن والفيلسوف الالمانى نيتشه .

كل ذلك مثار نقد من بعض المفكرين الغربيين المنصفين ، فترى « كولن ويلسون » صاحب « اللامنتمى » يتوجس خيفة من حضارة العصر التى يحياها الغرب والعالم معه . والتى هى سبب لكل ما يلاقيه الانسان المعاصر من شرور ، لما طبعت عليه الحياة الغربية من فساد وترف وانحلال .. وترى طبيبا كبيرا هو » البرت شيفتزر « يرحل الى افريقيا هربا من الحضارة الغربية المعاصرة .. وما جرته على الانسان من قلق وتوتر واضطراب وعدم استقرار .

ويتنبأ المؤرخ الانجليزى توينبى بانهيار حضارة الغرب المعاصرة كما انهارت حضارة روما .. وكولن ويلسون يرى ان عالم اليوم يمر بنفس الظروف التى مرت بها حضارة الرومان عندما انهارت أثناء انتشار المسيحية .. ويقول مفكر غربى انه ليس بالبعيد ان نقف على اطلال عواصم الغرب الكبرى نبكيها كما وقف الانسان القديم على اطلال المدن الكبرى القديمة باكيا حزينا .

ويجىء جارودى المفكر الفرنسى ليعلن سقوط الحضارة الغربية وحتمية الرجوع الى الاسلام وحضارته الخالدة .

ولقد ورث الاسلام حضارات العالم القديم ، ثم نهبت اوروبا مواريث الحضارة الاسلامية .

ان مفكرى الغرب وعلماءه يقبلون على الاســلام ويدخلون فيــه .. ويعتنقون مبادئه وشريعته لانه الدين الأمثل والشريعة السمحة والعقيدة الانسانية الشريفة .. التى تلائم العقل وتوائم الفطرة وتتمشى مع الحياة وتعمل على نشر السعادة والرفاهية والسلام والاخاء بين بنى البشر كافة .

لقد كانت حضارة الغرب قبسا من نور حضارة الاسلام .. ثم انحدرت الى حيث فوضى المــال والجنس والترف والاســتبداد والطغيان وجنون الالحاد والكفر بالدين .

يقول ( غوستاف لوبون ) : العرب كانوا هم الممدنين للغرب وائمة له فى ستة قرون .. وعن طريقهم اهتدت أوروبا الى تراث الاغريق وكشفت عن ماضيها .

ويقول شــاعر الاسلام محمد اقبال : مثلت حضارة الغرب دورها وقد شاخت وهرمت .. اينعت كالفاكهة وحان قطافها ..

ان الانسانية لا بد أن تعود الى الاسلام .. فهو الحل الحتمى لانقاذ البشرية ، ولانقاذ الحضارة ، ولانقاذ الانســان .

يا بنى الانســـان ..

يا أبناء حضارة اليوم ..

يا دعاة التقدم والرخاء والسلام ..

عودوا الى الله رب الأرض والسماء ورب الملكوت الاعلى .. وخالق الحياة والبشر والكون العظيم بكواكبه ونجومه ومجراته وافلاكه ..

عودوا الى الروح الأعلى .. تعد اليكم السـكينة والأمن والحيـاة والسـلام .

— ١ —

نعم ، ان الاسلام هو الدين الوسط ، الدين الافضل ، والدين الامثل ، والدين الجامع ، والدين الكامل ، الذى يجمع كل ما فى الاديان من فضائل ومثل وآداب واخلاق ، والشريعة المثلى ، شريعة الحياة والتقدم والرفاهية ..

انه دين مجتمع السلام والحق والعدل والامان والرخاء ، الدين الذى يجمع الى بساطته استجابته لكل نوازع الخير ، ودوافع الانسانية فى نفس الانسان ، ولا عجب فالقرآن الكريم هو دستور الاسلام العظيم وكتاب عقيدة التوحيد ، كتاب دين ودولة ، كتاب شامل لكل صالح عظيم من المبادىء والمناهج والفضائل والقيم الشريفة ، والاهداف النبيلة ، والمثل الفاضلة .

وما بالك بدين يجمع بين الاولى والآخرة ، وبين الغاية الفردية والغاية الاجتماعية والغاية الانسانية ، وبين سمو الباعث وشرف المقصد والنزعة ، والمسئولية والالتزام ، وبين العقيدة والسلوك والاخلاق والعبادات والحدود ، وبين الحرية والمساواة والاخاء ، بين الضمير الدينى والضمير الانسانى ، بين حب التقدم والرغبة فى التجديد والاصلاح ، وبين القصد الى رفاهية الفرد وسعادة المجتمع وقوة الامة ووحدة الانسانية ، بين حرية النزعة الفردية وقوة الرغبة فى الحرص على مصلحة الجماعة .

الاسلام دين العدل الكامل ، والامانة التامة ، ودين الالتزام بالصدق والوفاء بالعهد ، والحرص على مسئولية الكلمة ، وعدم الايذاء والعدوان أو الفساد ، وكراهية الحرام ، والقصد الى العفة والشرف والفضيلة والايثار لا الاثرة ، وبين حق الفرد وحق المجتمع وحق الامة .

دين الصدق فى القول والعمل ، ومع النفس ، دين الاخلاص فى السر

والعلن ، ومن ثم كره الرياء والنفاق والمداهنة والمخادعة والمكر والاحتيال والدجل والشعوذة فى كل شىء .

— ٢ —

دين حارب ارستقراطية الجنس واللون والقوة والمال ، وحارب أهواء النفس وشهوة الجنس ولذات الحياة وزخارفها التى تشغل عن العبادة والطاعة والعمل الصالح والايثار المفيد لخير الأمة والناس .

انه دين الانسانية كافة ، لانه دين الفرد والجماعة معا ، ولانه الدين العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان .

هذا هو الاسلام ، عقيدة حقة طاهرة يجمعها شهادة التوحيد ، شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .. انها عقيدة تقف صامدة امام جميع النزعات والافكار والمبادىء هادية مرشدة ، واضحة نيرة ، لا عوج فيها ولا أمت ، لا مواراة ولا خفاء ولا رياء .

انه الاسلام .. منطق الخير والنور والحق والعدل ، منطق القوة والدعوة الصادقة التى تحارب نزعات الشر والفساد ، وقوى الباطل والالحاد ، والتى كتب الله لها النصر دائما فى كل العصور والأجيال « كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ، ان الله لقوى عزيز » .

عقيدة البقاء والخلود ، والدين الوسط فى كل شىء ، فى العبادة ، فى الطاعة ، فى الاقتصاد ، فى المعاملات ، فى الفضائل ، فى القيم والمثل الشريفة ، فى مبادىء الحياة وغاياتها واهدافها ، فى شئون الأسرة والفرد والمجتمع والأمة ، فى كل امور الانسانية ، فى السلم والحرب ، فى المشاعر والعواطف والوجدانات ، فى الفكر والعلم والثقافة والمعرفة .

انه دين الله ، دين القرآن الكريم ، دين السماء والوحى الصادق المنزل على محمد بن عبد الله .

## انا مؤمن

الايمـــان شرف وأى شرف للانســـان ، ومجد لا يطاوله مجد على طول الزمان .

انني انا مؤمن ، وياله من جلال يطوق جيدى بقلائد الفخار والعزة ، والكبرياء لأن اكون مؤمنا .

انني انا مؤمن ، وما أكرم هـذا الوسام الذى اتوشح به ، وارى نفسي فيه ، ويراني الناس به ، وهو أن اكون مؤمنا .

انني انا مؤمن ، وما أعز هـذا التاج فوق راسي ، والذى توجني به الله عز وجل ، فجعلني من طبقة السـاجدين العابدين الطاهرين الطيبين .

انني انا مؤمن اذن انا انسان ، اذن انا ابن الأصلاب الطاهرة ، اذن انا اعرف آبائي واجدادى كما أعرف ابنـائي ويعرفونني .. اذن انا ابن الطهارة والشرف والأصالة والاعراق الطيبة الطاهرة ، اذن انا ابن الاسلام والقرآن والايمان .. اذن انا ابن الاخلاق والفضيلة والأمانة والمروءة والعفة والوفاء والصـفاء والنقاء .

**انني انا مؤمن :**

اذن انا حى موجود ، حي انســان ، ملاك يعبد الله فى الأرض حتى تنتهى رســالته فى الحياة .. اذن انا خليفة الله فى ارضـه ابى آدم الى ابى الانبياء ، ابراهيم خليل الله ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد النبيين وخاتم المرسلين .. اذن انا موحد يرفع دائمـا رأسه للسماء ، يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يؤمن بالزبور والتوراة والانجيل والقرآن ، يؤمن بموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم اشرف خلق الله ، يؤمن بالحساب والثواب والعقاب والآخرة دار بقاء وخلود ، يؤمن بأن الله وحده هو مالك الملك وسع كرسيه الســموات والأرض وهو البارىء المصور له الأســماء الحسنى يسبح له ما فى الســموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

الملائكة جميعــا معى فى غدواتى وروحاتى ، الله يحوطنى بعين رعايته وعنايته ، الكون كله يرانى أهلا لأن أكون سيده وأن أصبح بايمانى أفضــل مخلوق فيه .. مؤمن بالله يشيع الايمان فى نفسى الثقة والاطمئنان والشعور بالأمن والأمان ، والتفــاؤل بالحــاضر والمســتقبل وحب العمــل وحب الانســانية كلها .

وفى ظل الايمان يختفى العدوان والجريمة والتهور والتطرف وكل الأعمال المنافية للشرف والفضيلة والقيم العالية .

وفى ظل الايمان يعيش الانسان فى سلام دائم .. سلام مع نفســه ومع أهله ، ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، ومع الانسانية كلها ، لا عدوان ولا بهتان ولا طغيان .. سلام .. لأن الله عز وجل هو السلام .

وفى ظل الايمان ينصرف كل الى عمله والى زيادة الانتاج والى حب الناس والى اداء الواجب على أحسن وجه والى الاســهام فى نشر الرخاء والرفاهية فى المجتمع وفى رقى الأمة ونهضتها وتقدمها ورقى مســتوى الحياة فيها والى العمل من أجل الانسانية والبشرية كافة .

وفى ظل الايمان يجنى كل انسان ثمرة عمله وكده وينطلق الى ميدان الكفاح والســعى فى الأرض فى تنافس شريف بعيدا عن الحقد والحســد والبغضــاء والخصومة والنزاع والفســاد والشر ، وينهض بالعمــل فى مختلف الميادين ، فى أمانة والتزام وحمل للمسئولية واداء للحقوق وحرص على العدل والانصاف والاحسان فى توازن دقيق بين الحق والواجب .

وفى ظل الايمــان توزن الكفاءات ويوضــع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، كل بحسب كفاءته وعمله ، وكل فرد فى مكانه الصــحيح الذى تؤهله له قدراته ومواهبــه ، دون محسوبية أو شــفاعة أو وساطة أو محاباة ، لا جنوح للتسيب والإنفلات والفساد ، ولا يحكم الجاهل العالم ، بل تسير الأمور والأعمال فى دقة وانتظام واتقان .

وفى ظل الايمان امنح حقوقى ، وانهض بواجباتى ، وتعطى لى حرياتى ، والعيش فى أمن شامل يصون المجتمع ويدفعه الى النهوض والسعادة والرفاهيــة .

وفى ظل الايمان يسير الشعب وينهض الى الابد بأسباب التقدم .. الدين يسر والخلافة بيعة ، والأمر شورى والحقوق قضاء .

العدل عام شامل ، والحاكم خادم لا سيد ، ومصلحة الجماعة تتوازن مع مصلحة الفرد .

وفى ظل الايمان أرفع راسى ولا اخفضها ، واعتز بكرامتى ولا اهينها ؛ الأمور كلها لله ، لا يملك المخلوق ضرا ولا نفعا لاحد ، ولا يستطيع عمل شيء الا باذن الله .

اننى أنا مؤمن .. الحياة كلها فى قبضة يدى ، الدنيا كلها تحوطنى بحبها ، البشرية كافة تقدرنى وتحترمنى .

لى الماضى والحاضر والمستقبل .

لى الأمس واليوم والغــد .

لى النور والأمل والسعادة .

لى الخير والعون من الله .

معى الله دائمــا .

معى رحمته وفضله واحسانه .

معى البشر والبشرى والأمان .

معى كل مجد فى الحيــاة .

مكافأة المجد والأمين والعالم والأديب عمل مشروع فى الاسلام وفى كل الأديان وفى عرف الانسانية العام .

مكافاة تقدير وعرفان بالفضل ، وتشجيع العامل ، والرعاية للموهبة والتقرير بفضل شـخص ما على مجتمعه .

وفى الاسـلام جوائز كثيرة للطائع والعابد والمؤمن بكل قيم الاسـلام وفضـائله ، العامل بها .. وفيه جوائز فى الدنيـا وجوائز فى الآخرة ، فجائزة الدنيـا هى سـعادة الانسان ، وهى رضاء الضمير فى حب الله وملائكته والناس اجمعين ، وجائزة الآخرة الكبرى هى الشـفاعة والجنة والكوثر وغرف الجنان .

والجائزة فى الاسلام جائزة كبرى وجائزة صغرى وجائزة وسطى .. وهى جوائز لا يعرف قدرها الا العـابدون المخلصـون الطائعون وليست جوائز المـال هى كل شىء فى حياة الانسان ، وماذا يهم المـال اذا فقد الانسان السـلام الروحى بينه وبين نفســه ؟ وماذا تهم جوائز المنصب اذا كان الانسان فى خواء روحى شديد .

ولكل شىء صالح فى الاسلام جائزة ، جائزة العالم هى رضاء الله ، وهى نشر فكره بين الناس ، وهى عموم النفع بعلمه وباجتهاداته وان تضىء آراؤه وبحوثه الشـموع فى دروب الحياة لتسـير قافلة الانسانية على بصيرة ، وعلى هدى من الطريق .

وجائزة العامل هى أن يرى الناس سعداء مستفيدين من نتيجة عمله ، ينتفعون به فى حياتهم وبعد حياتهم ، وهكذا دواليك .

الدنيا كلها تسـير .. والحياة تمشى والقافلة تطوى المسـافات ، والناس يدأبون على العمـل .. والحضارة تزدهر وكل شىء يسـير كما يتمنى الانســان ، وكما شرع الله ورسـوله . هـذه هى سـعادة القانع الزاهـد العـابد ، الذى لا يريد شـيئا لنفسـه ، وانما يريد سـعادة الآخرة وحدها .

ويمكن للانسان المسلم ان يربح من جوائزه كلما دأب على العمـل

الصالح وعلى صنع الخير ما استطاع اليه سبيلا وعلى اسداء المعروف للمحتاج في الأزمات والخطوب .

وهذه هي الجائزة التي وعد الله بها عباده الصالحين .. جائزة ولا كل الجوائز ، ومكافأة ولا كل المكافآت .. لنقرأ الآية الكريمة :

« أن المسلمين والمسلمات والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » . ( صدق الله العظيم )

مغفرة واجر عظيم

يالها من جائزة

جائزة ليست من البشر ولكنها من الله

جائزة ليست مالا ولكنها السعادة كلها

جائزة ليست لشيء الا للعمل الصالح ، ينفع به الله الناس والانسانية

وهكذا تكون الجائزة ، وهكذا يكون التقدير ، وهكذا يكون الرضاء ، ليت الذين يعملون للدنيا يعملون ايضا للآخرة .

وليت الذين يعملون لارضاء اهوائهم يعملون لارضاء ارواحهم ونفوسهم الخيرة المتطلعة الى السماء .

## ما بعد المادية

انتهت المادية وانتهى عصرها بالفشل الذريع ، ولم تحقق المادية شيئا من أهدافها بل زرعت الظلام والظلم والخراب فى كل مكان .

حاربت الملكية الفردية فقضت على نشاط الانسان الفردى وجعلته آلة تحركها الأيديولوجية كما تشاء . الحكومة هى المسيطرة ـ فى رأى الماديين ـ على جميع مرافق الدولة . وقد نشأ عن ذلك فساد الدولاب الادارى فسادا ذريعا . تأميم المرافق والقضاء على التجارة الخارجية والداخلية وقيام نظام السلع والهيمنة الحكومية على النظامين النقدى والمصرفى ، وتطبيق الملكية الجماعية على المزارع والعمل وحده له حق الحصول على دخل ومن لا يعمل لا يأكل والأجور يجب أن توزع وفقا للحاجة .. ولما فشل الماديون فى ذلك وزعوها وفقا للانتاج .

كل ذلك كان وراءه ضعف الانتاج وانهيار الدوافع الذاتية للانسان التى هى سر حركته الدائمة والشاملة . وأين هذا من الاسلام العظيم الذى حمى الملكية الفردية وأحاطها بالحماية والرعاية والتشجيع ؟

والمادية تمعن فى انكارها لله وفى محاربتها للدين ، وهى فى ذلك تحارب طبيعة الحياة وطبيعة الانسان معا . ان الايمان بالمادة وحدها وانكار ما وراء المادة من روحيات ومثل وقيم أخلاقية عليا لا يؤديان الا الى الهوس والجنون . نظرية داروين فى النشوء والارتقاء لا تغنى شيئا عن الايمان بالروح الشاملة . وعندما يقول ماركس : « لا محل مطلقا لوجود خالق » ، يهتز المنطق وتهتز الحياة نفسها لهذا المذهب المخرب والفكر الهدام . ان الاسلام يؤمن بالروحيات ويجعلها غيبا واجبا أن نؤمن به . ويجعل الايمان بالله وبعظمته وقدرته وجلاله أمرا من أبجديات المنطق التى لا يمكن الانفصال عنها . والا حدثنى ـ بربك ـ من الذى صنع هذا الكومبيوتر العجيب ووضعه فى رأس الانسان ( المخ ) ليدير الجسم طيلة حياة الانسان ادارة عجيبة تعد معجزة من معجزات الحياة ؟ حدثنى بربك

عن ملكـة التفكير والتـأمل والفهم من الذى غرســها فى وجدان البشر وأعماق نفوســهم ؟

ان الايمان بالله من مقومات الشـخصية الانسـانية ، ولا يمكن أن تكون هــذه الشخصية متكاملة وســوية الا بالايمان بوجود الاله الخالق القادر المصــور البارىء المهيمن .

يا انســان القرن الحـادى والعشرين حدثنى بربك ، كيف تعيش اذا لم تؤمن بوجود اله يحرس الحياة ويحميها من هوس الانسـان وجنون الرؤوس الذرية المدمرة ؟

اذا قلنا أن العقل هو الذى يقوم بهذه المهمة فلماذا اذن صنع العقل كل هــذه المدمرات ؟ ان العقل يصنع خراب العالم كما نرى ، ثم نصدق بعد ذلك انه هو الذى يصنع أو سوف يصنع السلام ؟

لا مفر أمامنا من الايمان بالدين ، من الرجوع الى الله ، من الاحتكام الى الضمير ، من جعل ســعادة الانسـانية ومستقبلها وامنها وأمانها هى الغاية ، من سعينا لنكون جديرين بخلافة الله فى الأرض !

أيها الانسـان ، عد الى الله ليعم السلام الدنيا ولتسـتمر مسيرة قافلة الحياة البشرية الى نهايتها .

## رســـالة الى الشـــباب

هل تتصورون شاعرا انجليزيا معاصرا لم يقرأ شكسبير ؟

هل تتصورون أديبا فرنسيا لم يقرأ ادب عصر لويس الرابع عشر ؟

بل هل تتصورون ناقــدا أوربيا معاصرا لم يقرأ كتــاب الشــعر لأرســطو مثلا ؟

التراث هو أساس موهبة الأديب والناقد والشاعر .. التراث هو الذى يهب الانســان الملكة والاسلوب واللغــة .

والتراث هو الذى يقدر على أن يجعل الاديب قريبا من كنوز اللغــة والأدب والشــعر .

لذلك لا أفهم أن يقول انسان عربى عن نفسه انه أديب وهو لم يقرأ المعلقات فى الشــعر الجاهلى مثلا ، أو لم يقرأ أدب الجاحظ والتوحيدى ، بل وهو لم يحفظ شــيئا من القرآن الكــريم والحديث النبــوى الشريف ونهج البلاغة للامام على بن أبى طالب واشــعار الجاهليين والاسلاميين بكافة عصورهم ، بل والمعاصرين أيضاً .

ان ضعف مواهب الشــباب الادبية الملحوظ انما يرجع فى أساسه الى تركهم للتراث وانصرافهم عنه وعدم قراءتهم له وحفظهم شــيئا منه . هــذا مع أن أديبا مثــل كامل كيلانى يحدثنا عن نفســه بأنه كان يحفظ عشرة آلاف بيت من الشــعر العربى وهو تلميذ فى المدرســة الابتدائية .

انى أنصح للشــباب بأن يقرأوا أدب التراث قراءة جيــدة ، حتى يكســبوا اللغــة وقوالبها ويعتادوا أســاليبها وطرق تعبيرها .

---

الفيصل العدد (٢١٧) ص ٧٤ ـ ديسمبر ١٩٩٤

واذا كانت هناك ثقافة ادبية عامة ترجع الى القراءة فى كل الثقافات والفنـون والآداب والعلوم ، وفى أى كتاب ، وفى كل فن ومادة وادب ، فانى أقول لشبابنا ان هـذه الثقافة العـامة لا تغنى عن الثقافة الخاصـة شـيئا بحال من الاحوال .

الثقافة العامة المفتوحة تجعل الانسان متفتحا ، وتفتح الأبواب بينه وبين العصر ، وهى تضع الانسان الأديب على اول الطريق ، وتضع امامه مفاتيح الأدب كلهـا .

وقد كان العقاد وهو تلميذ فى الابتدائية يقرأ الادب الانجليزى ويترجم منه . وحين ترجم السـير وليم جونز المعلقات الى الانجليزية فتن بهـا الشـعراء الانجليز فتنة شديدة ، ودعاهم جونز الى التجديد فى القصيدة على ضـوء قصائد المعلقات ، فاكثر الشـعراء الانجليز منـذ بدء القرن التاسع عشر من بكاء الأطلال على نمط ما فعل الشعراء العرب فى الجاهلية ، وكان ذلك تجديدا كبيرا فى القصيدة الشـعرية الانجليزية .

أما الثقافة الأدبية الخاصة فانها تجعل منهم أدبيا أو شاعرا أو ناقدا أو قصاصا أو مسرحيا بعد مدة وجيزة .

وفى كل الاحوال لابد للانسـان المعاصر من ان يقرأ كثيرا ، ويعاود القراءة طويلا ويتخير الكتاب المقروء الصالح لأن يبذل فيه جزءاً من وقته .

نصيحتى الى الشـباب أن يصحبوا التراث طويلا ، فالتراث هـو الوسـيلة للتفوق فى الأدب والشـعر واللغة ، والقراءة فى التراث هى قوة ملحوظة فى اللغة والأدب ، وبدون ذلك لن تجد الأديب الذى ترضى عنـه وتحبه وتؤثره على لداته .

اقرؤوا كثيرا أيها الشـباب حتى تصبحوا ادباء حقيقيين .

التراث هـو المميز أو المصور لوجود الأمـة التاريخى والفكرى ؟

وقد اثبتت مقومات التراث الاصيلة فى تجربتها الانسانية الاولى انها حافزة دائما الى الابداع الحضارى ، حتى لقد ظل العقل الانسانى قرونا كثيرة يبدع فى شتى مجالاته الممكنة من خلال تلك المقومات دون أن يكون هناك أى صدى لدعوى التناقض الحضارى بين تلك الاصول مع ذلك الابداع الخلاق الذى تنامى عبر الزمن ، بل ان الثابت أن حقيقة التراجع التى أصابت العقل العربى انما وقعت عندما بدأ الانفصال يدب بين تلك القيم الأصيلة ومعطياتها وبين الواقع .

التراث هو الهوية الثقافية للأمة ، وهو مظهر أصالة الأمة وحضارتها ؛ فالأصالة تتألف من عنصرين :

اولهما : التراثية أو المحافظة الواعية الملتفتة بتعاطف الى التراث فى أصوله ونماذجه .

والثانى : الذاتية المبدعة .

وعن التراثية يقول لانسون : ان أمعن الكتاب أصالة انما هو الى حد بعيد راسب من الأجيال السابقة ، وبؤرة للتيارات المعاصرة .. ويقول جوته : فى كل فن توجد صلة نسب ، فانك اذا رأيت فنانا كبيرا فلابد أنه قد وعى أحسن ما عند أسلافه ، وان هذا هو الذى جعله عظيما .. ولذلك يقول « اليوت » اذا أردت أن تجدد فى الشعر فيجب ان تكون جذورك عميقة فى الماضى .

التراثية تصل الادب بالأصالة ، والأصالة تحتضن المعاصرة اذا كانت بمعنى التجاوب المستمر مع الموقف الحضارى المعاصر ، بحيث تتفاعل هذه المعاصرة مع الماضى بقيمه النامية ، ومواريثه الخالدة والشعور به على الدوام ، حتى ليقول احد النقاد الفرنسيين : الفن كله فى أن يهب الأدب الفكرة القديمة شكلا جديدا ، وهذه الفنية هى كل ما تملك البشرية جمعاء من ابتكار .

والتراث الاسلامى حافل بالموسوعات الضخمة فى شتى العلوم : فى الشريعة والفقه والاصول والتفسير والحديث والتوحيد ، والتراث التاريخى يحفل بكتب نالت شهرة عالمية ، من مثل : تاريخ الطبرى والمسعودى وابن الاثير والبغدادى وابن خلدون والمقريزى والسيوطى وسواهم . وفى التراث البلاغى والنقدى نقف مذهولين امام موازنة الآمدى ووساطة الجرجانى ، واسرار الفصاحة لابن سنان ، والعمدة لابن رشيق ، ونقد الشعر لقدامة ، والصناعتين لابى هلال ، واسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز للجرجانى ، والمثل السائر لابن الاثير . وفى الموسوعات الادبية لا تجد اروع من كتب الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه وابى الفرج الاصفهانى والثعالبى وسواهم .

وفى القصص والاسمار نجد امثال : البخلاء للجاحظ والف ليلة وليلة ، ونشوار المحاضرة ، والفرج بعد الشدة للتنوخى ، وقصة ابى زيد وعنترة والظاهر بيبرس ، واعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس للاتليدى ، وفى الشعر مئات الدواوين الشعرية الرفيعة الخالدة . وهكذا فى مختلف جوانب العلم والثقافات .

ان تراثنا العربى هو جزء كبير من ثقافة الانسانية ، ولقد كنا - فى مرحلة التعليم نحفظ مقامات الحريرى والهمذانى ونطيل القراءة فى الكامل للمبرد ، ونهج البلاغة للامام على ، وفى البيان والحيوان للجاحظ ، والامالى للقالى والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وعيون الاخبار لابن قتيبة .

هذا فضلا عن ان الكثير من الكتب الدراسية كانت مملوءة بعيون التراث ، نستظهر منها جياد القصائد ، وحسان الخطب والمقامات ، الى ما كنا نحفظه من دواوين الشعراء . فاين شبابنا من بعض هذا ؟! .

## حتى تصبح الثقافة كالماء والهواء

كان لقاء الرئيس بالكتاب فى أوائل لقاءاته بجماهير الشعب بعد العاشر من رمضان حدثا فريدا فى تاريخ مصر المعاصر ، لقد شارك الرئيس الأدباء فرحتهم بهذا اللقاء ، وتحدث معهم طويلا عن تجربته الثقافية الطويلة التى كانت هى الزاد الروحى لكفاحه الطويل الشاق من أجل بناء مصر الثائرة ذات الشخصية الخالدة الطاغية على مرور الأجيال ، وكرم الرئيس رائد الكتاب والمفكر المصرى والأدباء ، من أجل تعزيز شخصية مصر الحضارية الضاربة بجذورها فى أعماق الماضى البعيد العريق . وكان حدب الرئيس واهتمامه بالأدب والفكر والثقافة فى كلمته التى ألقاها فى هذا اللقاء الجليل نابعين من ايمانه العميق بمصر وانتمائها العربى الاسلامى ، وبطابعها الحضارى الفريد فى العالم كله ، وبدورها العظيم فى التاريخ الانسانى على مدى العصور .

وتحدث الأديب المصرى ثروت أباظة ، فاعلن الشعار الوطنى الجديد للثقافة فى عصر السلام . وأنها فى نهضة الوطن الحاضرة كالماء والهواء والحرية ، وأيد الرئيس ايمانه العميق بأن الثقافة للشعب لابد أن تكون كالماء والهواء والحرية ، وبذلك وضع أمام الشعب تأكيدا جديدا بضرورة خلق ثورة ثقافية جديدة من أجل مصر ، كما كان ذلك تأكيدا كبيرا لميثاق وطنى جديد يعلن به الرئيس حق المصرى فى الحرية وفى حقوق الانسان .

لقد كتب الامام محمد عبده مقالا فى الوقائع المصرية بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٨٨١ يقول فيه : لا وطن الا مع الحرية وقد قال فيلوسوف فرنسى : لا وطن فى حالة الاستبداد ، وكان حد الوطن عند قدماء الرومانيين المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية ، وكما قال لابروير الفرنسى : ما الفائدة من أن يكون وطنى عظيما كبيرا ان كنت فيه حزينا حقيرا أعيش فى الذل والشقاء خائفا أسيرا .

الثقافة والحرية عنصران متلازمان ان لم يكونا عنصرا واحدا متكاملا . ومن أجل ذلك لابد ان تعمل الثقافة من اجل تعزيز ايمان الانسان المصرى بالحرية الكاملة لوطنـه ، وفى ظلال الحرية والثقـافة كان ابداع العقـل المصرى لحضـارة بلاده .

وفى نطاق العمل من أجل الخلق والابداع يجب أن تعيش أجهزة الدولة الثقافية على صلة وثيقة بالانسـان المصرى عامة ، وبالأديب والكاتب والمفكر بصـفة خاصة ، وأن لا يشعر الاديب فى يوم من الايام بأن انتاجه الادبى الجيد لا يلقى اهتماما من أجهزة النشر فى الدولة ، أو انه فى حاجة الى الوسـاطة والاستعانة بقوى الشللية السـاحرة لكى يرى النور ، وأن يجد أن الفرص الكاملة متاحة للجميع على قدم المسـاواة ، وأن له الحق فى رعاية جميع الأجهزة الثقافية له ولأدبه .

وليست أرى أن تبقى هـذه العزلة الفكرية بين كـبار الأدباء وبين الشعب ، ولا بين الجامعـات وبين الجمـاهير ، وكبـار أدبائنا ومفكرينا مطالبون اليوم بأن يقيموا امسياتهم الأدبيـة والثقافية فى أعمـاق الريف المصرى ، كما يقيمونها فى المدن على حد سواء .

ويجب أن يصبح المسجد والمدرسة ملتقى ادبيا عاما للجماهير بعـد أوقات العبادة والتعليم . وأكثر ما أتعجب له أن تغلق مكتبات المدارس والهيئـات وقصور الثقافة اغلاقا تاما لا يطالع فيهـا أحد ، ولا يستعير منها انسـان . ان الكتاب المصرى الذى تطبعه جميـع أجهزة الحكومة يجب أن يكون فى الريف وفى النجـوع والقرى . كما يكون فى المـدن ، والغريب أنه لا توجـد مكتبة فى أية قرية مصرية يعرض فيهـا الكتاب ، ولا أدرى ماذا تعمل اذن الهيئات الثقافية .

ليس لدينا فى القـاهرة اليوم قاعة كبرى تؤدى ما تؤديه المسـاجد الكبرى مثلا ، وليس عندنا جهاز حكومى يتولى نشر الرسـائل الجامعية والبحوث الثقافية الجادة الممتازة ، بل ليس عندنا ؟ جامعة شـعبية :

مثلا تتولى تخريج الكفايات فى شتى فروع الخدمات الجماهيرية ، والمدارس العامة ليس فى برامجها توفير المصرى الكفء فى مجالات الخدمة العامة . . كل ذلك وغيره يجب أن نعاود التفكير فيه .

ولحل مشكلات النشر كان لى رأى قديم ، وهو أن تقوم جمعيات تعاونية بمساعدة الدولة للنشر والخدمات الثقافية ، بحيث تكون الدولة مشاركة فى رأس المال ، وتتولى رعاية مطبوعاتها فى التوزيع على الهيئات الحكومية ، وغير الحكومية .

ان ذلك يعنى أن تبدأ الأجهزة الثقافية فى الدولة فى التخطيط والعمل والا تتوقف عن العمل فى لحظة من اللحظات ، على ان يكون الأساس اختيار الكفايات للعمل من أجل الأهداف الثقافية المنشودة ، وأن تفتح الاذاعة والتليفزيون صدرهما للبرامج التعليمية والثقافية والأدبية التى يضيق بها صدور العاملين .

وترى دور النشر الخاصة جميعا ضرورة مساعدة الدولة لها مساعدة كاملة فى تسهيل تصدير الكتاب المصرى الى الأسواق العالمية ، وضرورة تبسيط الاجراءات النقدية والجمركية ليكون خروج الكتاب لهذه الأسواق عملا سهلا ميسورا ، وفى هذا المجال يجب الافادة من خبرة اتحاد الناشرين والاستماع الى رأيه فى كل مشكلات الكتاب المصرى ، وفى العلاقة بين الناشرين واتحاد الكتاب .

ثم ان مراكز تحقيق التراث معدومة حتى فى جامعاتنا ، وتراثنا متروك للجهود الخاصة التى لا تستطيع ان تعمل شيئا بدون رعاية الدولة وتأييدها ، ولقد هالنى ان تاريخ مصر الأدبى والثقافى لا يزال محجوبا فى دار كتبنا الوطنية لأن المخطوطات الكثيرة فيه لا تزال قابعة فى مكانها هناك .

انى لأؤيد رأى الدكتور عبد العزيز شرف فى ضرورة قيام ثورة تصحيح ثقافية جديدة فى بلدنا ، تعلى من شأن الثقافة والكتاب والفكر . .

## صحيفة العالم الاسلامي(١) تقول ...

## مع المفكر الاسلامي الدكتور الخفاجي

الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي له اسهاماته وجهوده الجليلة في خدمة الدعوة الاسلامية .. فقد زار فضيلته العديد من الدول الاسلامية، وحاضر ودرس فيها .. وشارك في مؤتمرات عقدت في بعضها .

وتلاميذه في أنحاء العالم الاسلامي كثيرون يرجعون اليه في اعمالهم الاسلامية والثقافية والعلمية ، ويعتبرون مؤلفاته الاسلامية مصدرا اصيلا يدرسونها في كثير من الجامعات الاسلامية وهو اول من كتب عن القضايا المعاصرة من وجهة نظر الاسلام منذ خمسين عاما ومن أشهرها : « حقوق الانسان في الاسلام » ، « النظرية الاقتصادية في الاسلام » ، « قضايا العمل والعمال في الشريعة الاسلامية » .

ومن خلال رحلتنا في « عالمه » نتعرف على فكر هذا الرجل عبر نتاجه العلمي .

يؤكد الدكتور خفاجي ان الاسلام وكتابه الحكيم قد جمع شتى اصول التقدم الأدبي والروحي والمادي والاجتماعي ودعا الى مختلف المقومات العالية لمدنية فاضلة كريمة مهذبة غايتها سعادة الفرد والجماعة والأمم والانسانية .

---

(١) عدد الاثنين ١٣ ـ ١٩ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ـ الموافق ٦ ـ ١٣ نوفمبر ١٩٩٥ ـ الصفحة الثانية عشرة ـ مقال من اعداد مصطفى احمد قنبر ـ وقد نشر هذا الحوار في صفحة كاملة مع صور للخفاجي واقبال وجارودي وبعناوين كبيرة : جولة في فكر د. محمد عبد المنعم خفاجي ـ العالم الاسلامي مقبلٌ على نهضة كبرى ـ الحضارة الغربية نالَ منها الهرم ودبت فيها الشيخوخة وتقترب من حافة الانهيار ـ مجلة العالم الاسلامي تصدر عن رابطة العالم الاسلامي .

وأحكام الاسلام وآدابه هي نمط رفيع للمثل العليا التي سعدت بها البشرية واستقامت بها حال المجتمعات وفاءت الى ظلها الظليل مختلف الشعوب .

وينفي الدكتور ما تردد على ألسنة البعض من اننا في بدايات عصر الغربة ، الذي ورد في نص الحديث الشريف « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » ، بل نحن مقبلون على نهضة اسلامية كبرى تتجلى في اقبال الشباب على تعاليم الدين وتزودهم من ثقافات الاسلام وفهمهم العميق لكل ما يحاك ضد شعوب الاسلام من مؤامرات .

والغربة في الاسلام أن تكون تعاليم الدين غريبة في نظر الناس وان يفهموها فهما خاطئا وأن يتصوروا أن هذه التعاليم مصدر شقاء وتعاسة لهم لا مصدر سعادة وعزة ومجد ولا يمكن أن يكون هناك مسلم يدين بهذا ، وبالرغم من ذلك فاننا نلاحظ أن هناك ظاهرة ملموسة واضحة لدى بعض الشباب المسلم وهي ضعف القيم والمبادىء الدينية ولكن قبل أن نقول ذلك علينا أن ننظر للأسباب التي أدت الى ذلك ويمكن القول ان اهم أسباب هذه الظاهرة هو عدم وجود القدوة الحسنة الصالحة امام اجيال الشباب ، وضعف التربية الدينية في المدرسة والبيت والجامعة ، وايضا كثرة الأيديولوجيات والفلسفات التي تحارب الاسلام .. وأسباب اخرى كثيرة .

وعلينا نحن أن نبدأ بتربية الجيل الجديد تربية دينية سليمة في البيت والمدرسة والجامعة والمسجد ، ولا نستعمل الشدة والأكراه حتى لا ننفر الشباب من الاسلام ، وعلى وسائل الاعلام التعاون مع علماء الدين في المحافظة على قيم الدين وفضائله السامية .

ويرى الدكتور خفاجي ان الحضارات العالية القديمة : « الفارسية ، الاغريقية ، الرومانية ، المصرية ، وسواها من مختلف الحضارات العالمية البائدة » قد مثلت دورها على مسرح الحياة في فترة من فترات عصور

التاريخ ثم انتهت كأن لم تكن بالأمس ، وورثتها الحضارة الاسلامية التى ازدهرت فى بغداد وقرطبة والقاهرة ودمشق واصفهان وجرجان وبخارى وسمرقند وغيرها من عواصم العالم غربا ، ومن أوروبا شمالا الى أوساط قارة افريقية جنوبا وكانت هذه العواصم الاسلامية تسبح فى نور العلم والتقدم والمدنية وفى ظل الأمن والرخاء والرفاهية .. والسلام .

ويرى ان الحضارة الاسلامية حضارة شريفة نجمت من اصول شريفة ، وقامت عليها دولة جمعت كل أصول التقدم فى السياسية والفكر والاجتماع والاقتصاد وكل جوانب الحياة الرفيعة ، وشهد لها العلماء والمفكرون والمشرعون فى كل عصر وكل جيل ، حضارة اعزت الدنيا ، ودوت بذكرها الآفاق وعاش فيها الناس احرارا مكرمين ، ينعمون بشتى الوان السعادة والثراء والرخاء والتقدم ؛ وكانت اوروبا تنظر اليها وتذهل لهذا التفوق الحضارى الفريد .. ويصبح شاعر كبير مثل « بترارك » الايطالى فى العصور الوسطى قائلا : « ياالله لقد تفوقنا على كل الأمم الا العرب الذين اذلونا بحضارتهم فيا للخزى ويا للالم » .

وجاء دور أوروبا الجاهلة الظامئة المجردة من كل شىء فنهلت من حضارة العرب وعلومهم وثقافتهم حتى استطاعت ان تقوم على اقدامها ثم استطاعت ان تملك زمام المبادرة وتأخذ العنان بيديها من العرب ، وان تنشىء لها حضارة جديدة تخالف الحضارات الأخرى ، ولا تتفوق على حضارة الاسلام فى الروحانيات بل فى الماديات وحدها .

تقول « هونكة » المستشرقة الألمانية فى كتابها ( شمس العرب تسطع على الغرب ) : « كل موجة علم أو معرفة قدمت لأوروبا كان مصدرها البلدان الاسلامية » .

ويقول غوستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » :

« حضارة أوروبا مدينة للعرب بحضارتهم ، فالعرب هم الذين فتحوا

لها ما كانت تجهله من المعارف الفلسفية والعلمية والادبية ، فكانوا دائنين للغرب وائمة له فى ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدى الغرب الى تراث الاغريق وكشف ماضيه فاخذوا يبحثون عنه .

ويؤكد الخفاجى ان الأصول العلمية والفكرية لحضارة الاسلام والفكر الاسلامى قد اخذها الغرب ، وصاغ منها حضارته التى هى صدى كبير للحضارة الاسلامية ، فقد سرقت أوروبا على غفلة منا كنوزنا ومواريثنا الثقافية والحضارية مثلما سرقت كذلك امبراطورية المسلمين الممتدة فى كل مكان واقامت على كل هذه الأسس حضارتها الماثلة اليوم .

ويوضح الدكتور عبد المنعم خفاجى ان الحضارة الغربية اليوم قد نال منها الهرم ، ودبت فيها الشيخوخة ، واخذت تقترب من حافة الفناء .

يقول « بول فاليرى » شاعر فرنسا الكبير ، « فرنسا ، وانجلترا ، وروسيا ، والمانيا ، ويا لها من اسماء كانت جميلة كما كانت اسماء نينوى وبابل جميلة ، ولحاق هذه الاسماء الراهنة بأسماء الأمس الغابر لم يعد شيئا مستعصيا على الادراك » .. ويقول « فولتى » من كبار رجال الفكر الاوروبى : « ماذا أصاب تلك البدائع الراهنة التى حققتها يد الانسان ، أين هى حصون نينوى وجدران بابل ؟ .. ومن يدرى لعل مسافرا فى المستقبل يجد نفسه عند شاطىء السين والتايمز يجلس باكيا على بقايا الدمار الذى تحولت اليه معالم الحضارة حول هذه الانهار » .

يقول محمد اقبال شاعر الاسلام « مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت وهرمت ، أينعت كالفاكهة وحان قطافها ، وسوف تتمخض الانسانية عن عالم جديد وهذا العالم لا يحسن تصميمه الا من بنى للبشرية البيت الحرام وورث محمدا وابراهيم قيادة العالم » .

ورأى اقبال يكاد يكون تفسيرا للآية الكريمة « حتى اذا اخذت الأرض زخرفها وازينت وظن اهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » .

فالمعنى على هـذا هو فناء حضارة عجيبة من حضارات الدنيا كانت قد بلغت غاية نمائها وازدهارها ، بأمر الله وقدرته وفى لحظة من ليـل أو نهار زالت وانتهت .

وما يقوله اقبال يقوله مفكرو العالم وفلاسفته فى كل لحظة ، ونحن نعلم ان ميزان القوة فى العالم متغير ابدا وعلى امتداد التاريخ .

ويعلن الدكتور خفاجى ان الانسـانية لن نجد يوم تتهاوى حضـارة الغرب عقيدة تؤمن بها وتؤمن بها مصيرها الا الاسـلام .

فالاسـلام وحده والايمان به سوف يكونان ضرورة بشرية لان ذلك هو مسيرة الحياة والتاريخ وحتمية انتصار الحضارة .

وهو العلاج الوحيد لكل مشكلات العالم ، وهو النتيجة الاخيرة لقدرة الانسـان على مواجهة التحديات التى يتحداه بها عصره وقدره .

ويومئذ سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق الاسلامى عودا على بدء من المنطقة التى قامت فيها الحضارة الاسلامية وستثبت هذه المنطقة ـ يومئذ ـ وجودها ، وستقلب موازين القوى .. لان قوة الاسلام وحضاراته قائمة على اسس لا تتوافر فى غيرها من تيارات القوى العالمية .

وقد ادرك مفكر انجليزى ذلك حيث كتب يقول « لا يساورنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكا قويا وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الاسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون ايضا خطرا على أعدائه » .

كمـا يقول « ان قوة القرآن فى جمع شـمل المسلمين لم يصبـها الوهن » .. ان سـفينة العالم التى قد أصابها الخور اليوم سوف تجد فى الاسـلام المرفأ الامين الذى يتقدم بالفعل سـفينة الحضارة العالمية ، وهـذا ما كان يقوله مستشرق مثل عبـد الكريم جرمانوس ، وما يقوله

اليوم « رجاء جارودى » الذى نادى بحتمية الرجوع الى الاسلام لانقاذ الانسانية من المصير المهلك ، ان حضارة الاسلام هى ولا ريب حضارة المستقبل .

قضية أخرى هامة ينقدنا اليها ضيفنا وهى اعجاب شبابنا بالحضارة الأوروبية الاعجاب الشديد فيقول : ان الشباب اليوم يجب أن يعى ان الحضارة الأوروبية وجميع ما وصلت اليه أوروبا هى ثمرة لجهاد وجهود علماء المسلمين .

وان أوروبا عندما كانت تتحاور فى جواز تعلم الحروف والكتابة والقراءة كان الخليفة الفاطمى العزيز بالله يرسل المبعوثين لشراء الكتب من كل مكان حتى كانت مكتبته تحتوى على اكثر من مليون ونصف من المجلدات المخطوطة .

ان الغرب وحضارته ، اذا كان قد فتن المسلمين عن دينهم وحضاراتهم فى الماضى فانه قد آن الآوان اليوم ونحن نعيش فى القرن الخامس عشر الهجرى أن نعود الى الاسلام وحضارته مرة ثانية لكى تعود الينا القوة والنهضة والسيادة والازدهار .

وعن مذاهب الادب وتياراته المعاصرة يؤكد ضيفنا ان هذه المذاهب قد تعددت وتباينت دوافعها وآدابنا العربية لا تمثل الآن مذهبا فكريا معينا ، واذا أردنا أن ننشىء أدبا اسلاميا جديدا فانه يتعين علينا أن نبدأ من جديد ونعود الى القرآن الكريم لكى يستطيع الشباب أن يتفهم اصول دعوته ويتعمق المؤلفون الاسلاميون فى فهمه ودراسته وليستلهموا عبره وعظاته لمجابهة الحياة ومعاناة مشكلاتها .

وعندئذ نستطيع أن نقول أن الكتاب استطاعوا تحقيق طابع اسلامى فى أدبنا المعاصر ، وأن يضع الكتاب الاسلاميون الخلافات الصغيرة جانبا فلاذا كانت الحضارة الاسلامية قد عبرت عن مبادىء جديدة وصورت كفاح الأجيال المسلمة من أجل حاضرها ومستقبلها وترنمت بالحرية والبطولة

وانتصار الانسان وبالعزة والمجد لكل الافراد والجماعات والامم ، فان حضارتنا نحن اليوم وتاريخنا جديران منا بكل التفات واهتمام فيسجلهما ادبنا ويصورهما بواقعهما الراهن وبطموحهما الشامخ .

فعليكم ايها الشباب المسلم أن ترفضوا كل الدعايات الغربية المغرضة التى يريد الأعداء من خلالها تحطيم معنوياتكم وأن يبعثوا فى بلادنا شعورا عميقا بأن العالم الاسلامى مدين فى القديم للثقافة اليونانية ومدين فى الحديث للثقافات الغربيـــة .

ومن جملة القضــايا التى تشــغل جانبا كبيرا فى اهتمــامات ضيفنا الدكتور خفاجى ما يتعلق بالنظم الاقتصــادية الســائدة الآن والنظــام الاقتصادى الاســلامى فيقول :

بينما أكد رجال الاقتصاد ومفكروه ان للنظم الاقتصادية الرأسمالية والاشتراكية الكثير من المضار التى افسدت المجتمعات وزعزعت الثقة بين الأفراد والتعــاون المثمر بين الناس والامم والمجتمعــات ، فان النظــام الاقتصادى فى الاســلام من ارفع النظم الاقتصادية واجلها واكثرها فائدة ورخاء وخيرا للمجتمعات والشعوب .

واذا كانت حوافز الربح وحدها هى أساس كل المحركات للاقتصاد الغربى ، فان المحـرك الأول للاقتصاد فى الاسـلام هو الرغبة فى ازدهار الحضارة والتقدم والرخاء .

والاقتصاد فى الاســلام انسانى النزعة يقــوم على التكامل والايثار والخير وتقــرير الحقوق والالتزامات بين الناس ومادامت الرابطــة بين المصلحتين الفردية والجماعية وثيقة ، فمن الواجب أن تكون بينهما المعاونة لا المزاحمة والمصــارعة ، ففى رفاهية الفرد رفاهية الجمــاعة والعكس بالعكس تمــاما .

وليس فى النظم الغربية من اشتراكية أو رأسمالية اية فلسفة تفوق نظرة الاســلام الى الأمور الانسانية وفى مقدمتها شؤون الاقتصاد .

## حوار مع مجلة اليقظة(1)

— ١ —

هو بحق جاحظ هـذا العصر .. ذلك هو الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الذي كتب أكثر من ٥٠٠ كتاب .. خلال نصف قرن من الزمان، ومنها نحو المـائة كتاب عن التراث مثل شرح البخاري « عشرة أجزاء » ( مقامات الحريري بشرح الشريشي ) « ٤ أجزاء » .. أما الكتب الدينية فقد بلغت نحو المـائة ومن بينها ( تفسير القرآن الكريم ) « ١٣ جزءا » . ( الرد على المشركين ) ، ( الرد على الملحـدين ) ، ( الرد على أعـداء الاسلام ) . وهناك كتب ادبية من التراجم بلغت نحو الخمسين ومن بينها « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » ( الجاحظ ) ، ( الشـعراء الجاهليون ) . وكتب شـعرية بلغت نحـو الأربعين كتابا وبينها ( البناء الفني للقصيدة العربية ) ، ( فن الشـعر ) ، ( موسيقى الشعر العربي ) ، وله ستة عشر دواوين من بينها ( وحي العاطفـة ) ، ( أحلام الشـباب ) ، ( صلوات على الضفاف ) ، ( نشيد الذكرى ) وله ما لا يقل عن عشرين ألف مقالة منشـورة في مختلف الصحف والمجلات خلال نصف قرن من عـام ١٩٤٠ ... والدكتور خفاجي قام بالاشراف على نحو مائة رسالة دكتوراه

---

(1) اليقظة الكويتية ــ عدد ١١ فبراير ١٩٨٨ ــ بعنوان [ شخصيات تركت آثارها على الزمن ــ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ] وبجانب ذلك صورة كتب تحتها : جاحظ العصر .. د. خفاجي ــ وبجانب هـذا أيضا عناوين فرعية منها :

ــ الشيخ محمد عبده غذى فكرة الشعور الوطني لدى .

ــ سـعد زغلول حبه فجر ملكات الشـعر عندي .

ــ طـه حسين .. منحني فرصة العمل الأدبي التراثي .

ــ العقـاد .. أخذت عنه الثقـة بنفسي وأفكاري .

فى الأدب والنقد واللغة بجامعة الأزهر واكثر من مائة وعشرين رسالة ماجستير وقد كرمته الدولة فمنحته عام ١٩٨٣ وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى .

— ٢ —

وقد قام الدكتور خفاجى بالجمع بين المناهج القديمة والجديدة فى كتبه ومنها : مذاهب الأدب وفصول من النقد ، النقد العربى الحديث ومذاهبه ( دراسات فى النقد الادبى ) وله نظرية كاملة فى مدارس النقد العربى القديم لم ينشرها بعد ، وهو يرى أن النص الأدبى هو صورة لعصره ولمجتمعه وللفن وللمذهب الذى يمثله الأديب ، ومن دراساته للنصوص دراسته لقصيدة ( العودة ) لناجى ـ « ولبائية » ابن الفارض « ولبائية » الشريف الرضى .

وفى الموازنات الأدبية وازن بين اكثر من نصين فى كتابه « ابن المعتز » ومن موازناته : الجلاء عند الشعراء المعاصرين ووصف الطائرة عند شعرائنا المعاصرين ، وموازنته بين شوقى والحصرى ، وكذلك موازنته بين امرىء القيس وعلقمة وبين امية بن ابى الصلت وعمرو بن كلثوم وغيرهم . وقد أسهم الدكتور خفاجى فى الأعمال الثقافية بجهده وبماله وبتشجيعه .. وقد كتب عنه الكتاب والمستشرقون ، وقال عنه ابو شادى : انه ظاهرة فذة فى تاريخ الثقافة العربية ، وسماه كثيرون سيوطى عصره وجاحظ زمانه ومن أبرز المستشرقين اعجابا به ( أرنست بانرت ) الألمانى .. وبروكلمان وجب ... وعبد الكريم جرمانوس المجرى .

ان رجلا بهذا الابداع لابد وأن هناك العديد من الشخصيات التى تركت بصماتها على هذا الرجل واقتربت منه هامسا بسؤالى .. هل لى أن أتعرف عمن حفروا فى تكوينك الفكرى فتأثرت بهم ؟

— ٣ —

ان الحياة طويلة ولو استعرضها الانسان لوجد فيها من المؤشرات والمؤثرات التى يحتار فيها المرء ولا يعرف تحديدا لها .

ففى مطالع القرن العشرين كان شـيخ الكتاب له القيادة فى القرية وكان ابنـاء القرية من تلامذة الكتـاب يتعلمون منـه القراءة والكتـابة ويحفظون القرآن الكريم ومبادىء العلوم : وكان الشـيخ ( سباق ) شيخا لكتاب القرية الذى التحقت به وتعلمت فيه وحفظت فيه القرآن الكريم وكان رجلا صعيديا جافا غليظا نخافه ونرهبه ولا نستطيع الحديث فى مجلسه . . وفى هـذا الكتاب تعلمت القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ولا انسى يوما مشهودا انتهيت فيـه من امتحان عام عقده الشـيخ ( سباق ) لى مع اهالى القرية جميعا فى مجلس عام ليظهر نتائج حرصه على العنـاية بابناء القرية واخذ يسالنى فى مواضع من القرآن الكريم متشابهة ودقيقة فاجبت عليهـا بلا تلعثم وبحرص تام وبذاكرة قوية وكانت النتيجة التى اعلنها بين الأهالى هى نجاحى بدرجة ١٠٠٪ فى القرآن ومن هـذا المنطلق بدات حياتى فى التعليم وكان هـذا الموقف من المواقف الفاصلة فى حيـاتى ولا انسى ما حييت صورة ذلك الصعيدى الجامد الخشن الغليظ الذى كنا نرهبه ونخـافه والذى علمنا تحمل المسـؤولية واداء الواجب وعـدم التقصير فيما يلقى علينـا من تبعات .

— ٤ —

وعلى تراث الامام محمد عبـده تتلمذت وفى مقدمتها مجلة ( العروة الوثقى ) حيث وجـدت فكر الامام المضىء الوطنى المخلص الغيـور الذى يدافع عن العالم العربى والاسلامى دفاعا قويا والذى يناهض الاستعمار ويناصبه العداء . وقد رايت روح الافغانى المسيطرة على الامام محمد عبده والتى اثرت فيه كما اثرت فى وكان ايضا مناهضا للاستعمار الغربى وكان يهيب بالأمة العربية والاسـلامية أن تستعيد سيادتها وتأخذ مكانتها بين الامم القوية وتناهض الاستعمار فالامام محمد عبـده وفكر الافغانى كانا هما الاستاذ الذى تتلمذت عليه صغيرا واخذت عنه مبادىء الوطنية والحرية وكراهية الاسـتعمار والاحتلال لوطننا مصر . واذا كنت قد اشـتركت وانا طالب فى مظاهرات تهتف بحرية مصر وسقوط الانجليز فان الدافع وراء هـذا هو فكر محمد عبـده العظيم الخالد .

— ٥ —

وكنت شابا صغيراً عندما قام الزعيم الخالد سعد زغلول بثورته التى كانت لها الاثر الاكبر فى تحريك مشـــاعرى لنشر أول ديوان لى فقد كان لسعد سـيطرة كاملة على الشعب ، وعنـدما اعتدى عليه عام ١٩٢٤ ، وكان هـذا مدبراً بأيدى القصر والاحتلال ، نجا من هـذا الاعتداء فكان هـذا الموقف مؤثراً فى نفس كل مصرى وخرج الشعب فى مظاهرات فى كل مكان تهتف ضد القصر والاحتلال ، وعندما توفى كان وداعه موكبا مهيبا فى نفوس الشعب وخرج الناس يقيمون الصلاة على روحه فى كل مكان حتى فى القرى النائية ، كان موقفا جماعيا ودون ترتيب ، فكان ديوانى الاول « وحى العاطفة » « مرثية لسعد زغلول وفداء لروح سعد زغلول وخرجت على رأس مظاهرات فى مدينة الزقازيق حيث كنت طالبـا ومديرا لاتحاد الطلاب وكان من بين أعضاء الاتحاد فضيلة الشـيخ محمد متولى الشعراوى والكاتب الصحفى محمد فهمى عبـد اللطيف وكانت جريدة « الاهرام » قد نشرت أخبار المظاهرات فى صدر صفحاتها .

— ٦ —

وفى أوائل الثلاثينات كان طه حسين قد انضم الى الوفد وكان من كتاب هـذا الحزب ويكتب فى صـحفه فى الادب والشـعر وكان ينشر مقالاته فى كوكب الشرق والوادى قرأيته فى الجامعة العربية بعد ذلك وفى وزارة المعارف قبل الثـورة أو فى المؤتمرات أو المهرجانات الادبيـة التى كانت تقام بالقاهرة ولا انسى يوم أن الرسـل لى تلغرافا على الكلية التى كنت أعمل بها مدرسا لمقابلته فى الجامعة العربية وذهبت اليه وقال لى انه اختارنى للمشاركة فى تحقيق « الاغانى » وفعلا ابديت له شكرى واستعدادى لتنفيذ رغبته وبعد ذلك كلفنى بتحقيق أجزاء من كتاب « الجمهرة فى اللغـة لابن دريد ومن كتاب تهذيب اللغـة للأزهرى » وتوالت التكليفات التى كان الدكتور طـه حسين قد قرر تحقيقها عن طريق ادارة الثقافة بالجامعـة العربية . ومنذ هـذا التاريخ أصبح طـه حسين حبيبا الى نفسى واعطانى الفرصة للظهور الادبى فى الحياة العامة والادبية .

## حوار صحفي(1)

د . خفاجي يقول :

- انا عربي الأرومة والثقافة والتعبير .
- الشعر الأجنبي لا يحمل الا خصائص العقل الغربي .
- الأدب المعاصر صورة مشوهة للفكر الغربي .
- احياء التراث العربي الاسلامي ضرورة قومية .
- نقادنا مشغولون بالنقل فقط .
- ما يكتب في الصحف ليس له قيمة فكرية .

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي تخرج على يديه اجيال من الطلاب وناقش واشرف على أكثر من ٢٥٠ رسالة ماجستير ودكتوراه وله العديد من المؤلفات في الادب والنقد والشعر والبلاغة والتاريخ والاسلاميات تقرب في تعدادها من الخمسمائة مؤلف . والدكتور خفاجي يجمع بين الاصالة والمعاصرة في أعماله .

والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي يعد من اقدر الكتاب المصريين في تاريخ الأدب العربي الحديث ،انه قوة ثقافية نادرة .. مفكر ومجدد موهوب وهو مؤمن بفكرته مخلص لرسالته . لذا فقد كان لنا معه هذا اللقاء حول الفرق بين الشاعر والاديب ومدرسته الأدبية ورايه في الشعر الغربي وموقفه من التراث العربي ووجهة نظره في البنائية وما هو منهجه في النقد وما هي وجهة نظره بالنسبة للصحافة وموقفه ورايه في الأدب العربي المعاصر ، لكل هذا كان لنا معه هذا اللقاء ..

---

(1) حوار نشرته مجلة الحضارة عدد فبراير ١٩٨٨

. لماذا كانت هوايتكم الادب ؟

. . يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى سبب هوايتى للأدب انى عربى الأرومة والثقافة واللغة والدين وأسرتى لها تاريخها الطويل مع الادب والشعر وثقافتى الادبية هى أولى وأظهر ثقافاتى وحياتى كلها مع الادب وفيها من مواهب الادب والاصالة ومن ملكات الطبع ومن حياة الادباء الاصغاء الى نداء العاطفة والخيال وعمق الشعور ، ولى هوايات أخرى هى التعمق فى الدراسات الاسلامية والفكر الاسلامى ودراسة التراث والتاريخ واللغة على امتداد العصور .

. د . هل هناك فرق بين الشاعر والاديب ؟

. . الشاعر انسان ينظر الى الحياة بعينه والأديب انسان ينظر اليها بأعين الناس .

. د . ما هو موقفكم من القضايا الأدبية المعاصرة ؟

. . يقول الدكتور خفاجى : أعلن صراحة افلاس الشعر الحر وافلاس نظريات الأدب الغربى وانادى بالرجوع الى تراثنا الأدبى بكل قيمه الفكرية والأدبية ، ولى مذهب فى الشعر وهو بساطة الأسلوب والطلاقة مع الحرص على الموسيقى والحركة ووحدة التجربة .

. د . هل تقرأ الشعر الغربى المترجم ؟

. . يقول فولتير : الشعر الأجنبى لا يحمل الا خصائص العقل الغربى والبيئة الغربية انك تحس عند الع الكتاب المحدثين طابع وطنهم انهم يستمدون من التربة التى غذتهم الأذواق والالوان والصور المختلفة ؛ انك لتعرف الفرنسى والانجليزى والايطالى والاسبانى من أسلوبه ، كما تعرفه بملامح وجهه وانا اقرأ الشعر الغربى المترجم ولا استجيده .

• د • ماذا تقول لأدبائنا ؟

• • أقول لهم إن الادب المعاصر صـورة مشوهة للفكر الغربى وان ٧٥٪ منه سوف يموت بموت أصحابه وانه يجب أن تكون شخصيتنا العربية الاسلامية واضحة فى أدبنا كل الوضوح •

• • ما مدرستك الادبية ؟

انتمى الى مدرسة الاصالة فى الادب والشعر والنقد حيث الاهتمام بالبـلاغة والموهبة وحب التراث وتذوقه وتذوق القـديم والحديث معـ والصداقة مع كل المذاهب الادبية الاخرى •

• دكتور ما اهمية التراث العلمى العربى لنا اليوم ؟

احياء التراث العربى الاسلامى ضرورة من ضرورات الحياة والفكر ، والتراث العلمى هو جزء من هذا التراث ونهضتنا المعاصرة تحتاج الى هذا التراث العلمى الذى خلفه لنا الآباء ألم يكن هو سر نهضة أوروبا وحضارتها ومن منا لا يعتز بامثال الجاحظ والكندى والفارابى وابن خلدون وسواهم من علمائنا وابن القيم والرازى والبيرونى والمسعودى وابن خلدون وسواهم من علمائنا الخالدين ؟ يقول : برنال لقد تميز العلم العربى بالصدق والدقة والتجديد مما جعله مفضلا على العلم الاغريقى •• ويقول ايضا : لقد قرب العرب العلوم الى الأذهان بطريقة فذة ما كان الاغريق انفسهم قادرين عليها ولقد ترجم ابن أبى أصيبعة لنحو أربعمائة طبيب كلهم كتب وألف بالعربية وكانت الجامعات الاسـلامية منارة العلم والعلماء والعالم • ويقول بروتز مؤرخ الحروب الصليبية : انه ليس فى وسع العقل الاوروبى فى عصـور حضارة الاسـلام ان يقدم مثالا يفضل مؤلفات العرب ، ان بعض الأوقاف الاسـلامية كانت موجودة فى فاس لعلاج الامراض العقلية عن طريق الموسيقى حيث كانت تعزف الحانها فى مستشفى فرج بحى العطارين فى فاس ••

## ابو الفتح الاسكندرى بطل مقامات بديع الزمان
## وشخصيته المجهولة

بقلم الكاتب الكبير الاستاذ
أنيس منصور – الأهرام ٨ يناير ١٩٩٦

فى الأدب العربى شكل من أشكال الكتابة اسمه : المقامات .. مقامات بديع الزمان ومقامات الحريرى وهذا الشكل قد ابتكره بديع الزمان الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى . والمقامة حادثة ادبية او ثقافية أو مقلب .. ويقوم ببطولتها اديب ذكى خفيف الدم .. وهو يستخدم العلم والأدب فى الاحتيال على كسب الرزق . وبطل مقامات بديع الزمان رجل اسمه : أبو الفتح الاسكندرى . ولابد أن يكون لهذه الشخصية أصل فى الواقع . واستطاع العالم الكبير د. محمد عبد المنعم خفاجى بلدياتى أن يجد الأصل وان يزفه الى تاريخ الأدب . فقد وجد تشابها كبيرا بين « أبو الفتح » هذا وبين شاعر هو ابو دلف الخزرجى . فقد كان ساخطا يائسا حزينا . وكان يتسول بالأدب مثل بديع الزمان ومثل مفكر واديب بارع هو أبو حيان التوحيدى ..

وهذا التسول بالأدب اسمه « فن الكدية » .. ومايسترو حفلات الزار اسمها الكدية ايضا ..

والشاعر ابو دلف « ٩٠ سنة » احتل القرن العاشر الميلادى « الرابع الهجرى » مع المتنبى والشريف الرضى وابو فراس الحمدانى ، يقول أبو دلف الخزرجى :

العنكبوت بنت بيتا على وهن
تأوى اليه .. ومالى مثلها وطن
وقال ايضا :
عشت فى ذلة وقلة مال

واغتراب فى معشر انذال

بالأمانى اقول لا بالمعـــانى

نغذائى حلاوة الآمال

ويقول يصف حاله وزمانه :

ويحك هــذا الزمان زور

فلا يغرنك الغرور

لا تلتزم حاله . ولكن

در بالليـــالى كما تدور

هــذا كل ما اهتدى اليه العالم الكبير د. خفاجى . ومن حقك أن تسأل : اما ناس مجانين ! أيه يعنى ؟

وهو كلام يقال . ولكن فى مجــال البحث والعلم يعتبر هــذا الذى اهتــدى اليه د. خفاجى حدثا أدبيا . ولذلك لا يصح ان تضحك على د. خفاجى عنــدما يصيح ويقول : وجــدته .!اكتشفت كنزا كان تحت الأرض . وقلت لنفسى : انه هو هو .. انه ابو دلف الخزرجى الينبعى مســعر بن المهلهل !

جاء ذلك فى كتاب للدكتور خفاجى اسمه « أبو الفتح الاسكندرى بطل مقامات بديع الزمان الهمذانى » من منشورات الانجلو المصرية .

## الرؤية الابداعية فى فكر الدكتور خفاجى

بقلم الناقد الكبير الدكتور الأستاذ حسن البندارى

اقامت « رابطة الأدب الحديث » المصرية بمقرها فى القاهرة مهرجاناً ادبياً لتكريم رئيسها العالم الكبير والناقد الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، بمناسبة بلوغه الثمانين . وقد تحدث عنه فى هذه المناسبة عدد كبير من الباحثين والشعراء ينتمون الى مصر وعدة دول عربية واسلامية حيث تشير قائمة المهرجان « التى اطلعنى عليها الصديق الشاعر حسن توفيق » الى أن الباحثين الذين قدموا دراسات عن اعماله قد بلغ عددهم خمسة وثلاثين باحثاً ، بينما تناوله شعراً اثنا عشر شاعراً .

وقد سعدت كثيراً بهذا الاحتفال الكبير ، لأن المحتفى به جدير بالتكريم حقيق بالثناء ، بل انه يستحق المزيد من التكريم والثناء . وهنا أدعو الى أن تتسع دائرة الاحتفاء به ، بأن تشارك « الرابطة » جمعيات وهيئات أدبية أخرى فى دول عربية واسلامية يعرفه ابناؤها ممن تتلمذوا عليه مباشرة بجامعة الأزهر ، أو على مؤلفاته القيمة .

ولست أبالغ بهذه الدعوة الشاملة ، لان الرجل ــ كما نعلم ــ قد بذل الكثير من نفسه وفكره وقلبه ووجدانه فى مسيرته التاليفية التى بدأت منذ اكثر من خمسين عام ؟ ، فأسهمت فى تشكيل وعى عدد غير قليل من أساتذة الأدب والنقد والتحقيق بالجامعات المصرية والعربية والاسلامية ، والواقع أن دعوتى هذه لم تنشأ من فراغ ، فهى تستند الى « مؤلفاته » المتنوعة ، و « تحقيقاته » الدقيقة ، التى يمكن حصرها فى سبعة محاور :

أما المحور الأول فيتمثل فى « المؤلفات الاسلامية » . ومنها : تفسير القرآن الكريم ــ موسوعة الفاظ القرآن الكريم ــ الاسلام والعصر ــ الاسلام والحضارة الانسانية ــ الاسلام ونظرية الاقتصاد .

وأما المحور الثانى فيتعين فى « الكتب التى تناول فيها الأدب القديم » وهى كثيرة ، ومنها كتاب التطور والتجديد فى الأدب الأندلسى .

ويتمثل المحور الثالث فى كتبه عن « النقد العربى القديم » ومنها : ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ـ أصول النقد ـ مدارس النقد ـ أبو عثمان الجاحظ ـ الفكر النقدى والأدبى فى القرن الرابع الهجرى ..

ونلتقى بالمحور الرابع فى كتبه عن الأدب والنقد فى العصر الحديث ـ قصة الأدب فى ليبيا ـ البناء الفنى للقصيدة العربية ـ قصة الأدب المهجرى ـ تاريخ الأدب العربى الحديث ـ رائد الشعر الحديث .

وأما المحور الخامس فتعكسه الكتب التراثية التى نهض بتحقيقها وهى : فصيح ثعلب ـ البديع لابن المعتز ـ قواعد الشعر لثعلب ـ فحولة الشعراء للأصمعى ـ نقد الشعر لقدامة ـ دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ـ اعجاز القرآن للباقلانى ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ـ رسائل ابن المعتز ـ شفاء الخليل للشهاب الخفاجى ـ ديوان المتنبى « مع د . عبد العزيز شرف » ـ ديوان الامام على ـ ديوان الشافعى ـ الايضاح للقزوينى ...

ونقف على المحور السادس الذى يتمثل فى مؤلفاته عن « الاعلام الاسلامى » وقد اشترك معه فى انجازه الدكتور عبد العزيز شرف . ومنها : السيرة النبوية والاعلام الاسلامى ـ النحو لرجال الاعلام ـ نحو بلاغة جديدة .

وينحصر المحور السابع فى « الابداع الشعرى » فقد أصدر حتى الآن ستة عسر ديوانا مطبوعاً .

وتدلنا هذه المحاور على مدى الجهد الذى بذله الدكتور خفاجى ،

وهو جهد متنوع يجد فيه طلاب الدراسات العليا فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه مجالات واسعة للدرس والتمثيل خاصة أن هذه المحاور تنطوى على جوانب متمايزة يستطيع الباحثون من خلالها أن يكشفوا للقارىء العربى وغير العربى عن الكثير من القيم الأدبية والنقدية كما أن هذا التنوع كان وما يزال دافعا إلى أن يتناول انتاجه باحثون من العالمين العربى والاسلامى ، على نحو ما تحقق فى السنوات الأخيرة ، وما عكسته البحوث التى درست هذا الانتاج وقدمته فى مهرجان تكريمه فى يوليو الماضى .
ويمكن للمتأمل فى مسيرة د. خفاجى العلمية والابداعية أن يستخلص عدة دوافع لانتاجه الغزير ، تنطلق من شخصية فذة تتميز بالمثابرة ، وتتصف بالطموح ، وتتسم بالتفتح ، وتعتصم بالرغبة الصادقة فى اثراء حركة الفكر العربى الاسلامى المعاصر .

ويبدو الدافع الأول فى أنه ادرك منذ بداية حياته التاليفية أهمية الدور الخطير الذى يجب أن ينهض به رجال الأزهر الشريف فى مواجهة « التحديات المضادة » لمسيرة « الأزهر » العلمية والحضارية المتميزة ، التى كانت تظهر بين الحين والآخر . ومن ثم عمد ــ مع سواه من المخلصين الأصلا ــ الى دعم هذه المسيرة والتمكين لها ، واعلاء صوتها . ولذلك جاءت مؤلفاته عن « التراث العربى الاسلامى » و« تحقيقاته » لتنشط دور الأزهر بمؤسساته التعليمية المختلفة فى المحافظة على التراث الفكرى والأدبى للعرب والمسلمين ، بينما جاءت مؤلفاته عن قضايا الأدب الحديث ومشكلاته لتعقد الصلة بين الدور « الأزهرى المحافظ » ، والتوجهات الفكرية الحديثة .

ويتجلى الدافع الثانى فى أنه اضطلع بمهمة « الانفتاح » على ما هو خارج أسوار الأزهر وذلك بحرصه على أن يشارك فى الحياة الثقافية بتقويم العديد من الأعمال الابداعية والنقدية ، ليثبت بذلك اسهام الدور الأزهرى فى تشكيل المشهد الثقافى العربى المعاصر(١) .

---

(١) الراية القطرية عدد ٤٩٦١ فى ١٩٩٥/١٢/٢ ــ الأسبوع الثقافى .

ويبرز الدافع الثالث فى أنه قد امد الحركة الابداعية العربية بمجموعة من الدواوين الشعرية مؤكداً بذلك « الوجود الأزهرى الابداعى » ، الذى عبرت عنه أيضاً اشعار كل من ابراهيم البديوى ، ود. احمد الشرباصى ، ود. حسن جاد ، ود. يوسف القرضاوى ، ود. محمد احمد العزب ، ود. أحمد عمر هاشم ، ومحمد بدر الدين ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وغيرهم .

ونقف على الدافع الرابع فى أنه قصد بأن تكون مؤلفاته ــ كما صنع عدد غير قليل من أساتذة جامعة الأزهر ــ نافذة واسعة يطل منها من هم خارج أسوار الأزهر ، ليروا فى ساحته العديد من النقاد والمبدعين ، الذين يؤدون فى هدوء دورهم المؤثر فى تطوير الحركة النقدية والابداعية .

وقد اخترت من انتاجه القيم عملين هما « مقدمة » تحقيق كتاب الايضاح للقزوينى ، وكتاب « الفكر النقدى والادبى فى القرن الرابع الهجرى » وذلك بغرض الكشف عن الداعى الى اصدار هذين العملين .

أما المقدمة ــ وموضوعها « نشأة البلاغة العربية ومراحل التاليف فيها » ــ فيرجع سبب تأليفها ــ فى تقديرى ــ الى احساس د. خفاجى المبكر بقيمة الدرس البلاغى أو البيانى الذى عالجه بلاغيونا العرب القدامى ، والى ادراكه أن هذا الدرس يعتبر اساساً أولياً او مبدائيا يعد فى مقدمة أسس تكوين « الناقد العربى » فى الأزمنة الحديثة أو المعاصرة ، اذ لا يمكن أن ينجح ناقد عربى حديث فى اداء مهمته النقدية اذا كان جاهلا بتراثنا البلاغى والنقدى . وقد توافق هذا الاحساس المبكر والتقى مع جهود بعض النقاد العرب المحدثين الذين استرشدوا بأفكار هذا التراث ، أو عقدوا الصلات بينه وبين الانجازات النقدية الأوروبية القديمة والحديثة فى فترات زمنية متقاربة منذ عشرينيات القرن الحالى ، على نحو ما يتبين فى مؤلفات عدد من رواد النقد العربى الحديث ، ومن وليهم من الباحثين والنقاد ممن قضوا سنوات دراسية غير قليلة فى معاهد الأزهر قبل اتمام دراساتهم بجامعات أخرى والعمل بها . مثل د. طه حسين ، واحمد أمين

واحمــد الشايب ، ود. ابراهيم ســلامة ، ومحمــد خلف الله احمــد ، ود. محمــد غنيمى هلال ، ود. أحمد أحمد بدوى ، ود. الطاهر مكى ، ود. عبــد الحكيم سرحان ، ود. محمود الربيعى ، ود. يوسف نوفل ، ود. محمد عبــد المطلب .. وغيرهم .

وأما كتاب « الفكر النقدى والأدبى فى القرن الرابع الهجرى » فيعود سبب انجازه الى حرص المؤلف على الجمع بين هذين الفكرين فى مجلــد واحد بغرض أن يقدم الى القارىء الحديث صورة متكاملة ومركزة للجهد العربى الاســلامى فى ميدانى « النقد والابداع » ، فيتمكن بذلك من الوعى بطبيعــة المشــاركة العربية الاســلامية ، المتمثلة فى « نقــد مستقر » ، و « ابداع طموح » ، لينشــأ عن ذلك ــ بالضرورة ــ تقليل جهده فى البحث عن رؤية ابداعية أو اتجاه فكرى قد يشــير اليه هــذا الناقد أو ذلك فى نفس الحقبة الزمنية الجامعة لكل من الممارسة النقدية والنشاط الابداعى . كان يرجع بسرعة ــ مثلا ــ الى القسم الثانى من الكتاب ليقف على الجو الفكرى لشعر البحترى الذى شــكل ميل الآمدى اليه فى القسم الأول ، أو ليتعرف على قضايا شعر المتنبى الذى أثار اعجاب الجرجانى به فى هذا القسم ، أو ليتابع بســهولة فى القسم الثــانى تأثير أفكار ابن مســكوية « المتناولة بالقسم الأول » ــ فى بعض الفلاسفة الأوروبيين امثال «اسبينوزا» و « جورج مور » .

ويمكننا القول باطمئنان فى ضوء ما تقدم ــ ان هــذا العالم المستنير يمثل بحق مدرسة علمية معاصرة ومتطورة لا فى مصر فقط بل فى العــالمين العربى والاســلامى ، مما يدعونا الى حث الباحثين على دراسة « المحاور الأدبية والنقدية والتوثيقية » التى أفصحت عنها مؤلفاته ، وذلك للكشف عما تحتوى عليه من قضايا ، وما تشتمل عليه من أفكار اسهمت وما تزال تســهم فى اثراء الوعى الابداعى ، والرؤى النقــدية اللذين يتشكل منهما المشــهد الثقافى الفكرى العربى فى العصر الحاضر .

# عاشـــق المعـرفة

## للدكتور على على صبح

اهتزت الساحات العلمية والادبية هـذا العام ( ١٩٩٥ م ) بالحديث عن أعلام وائمة فى مجالات الفكر والعلم والادب ؛ فاحتفت بمرور قرن ونصف على ميلاد الامام محمـد عبده ، واحتفت بتوديع عميد الخالدين رئيس المجمع اللغوى الأستاذ الدكتور مدكور فى قرن من العطاء ، كما احتفت قبل ذلك بعاشـق المعرفة والفكر الأستاذ الدكتور خفاجى وهو يتجاوز العقـد الثامن ــ أمد الله تعالى فى حياته ، ولا ينقطع عطاؤه فى مجـالات الادب والنقد والشـعر ، والقصة والسـيرة الذاتية ، والعلم واللغـة ، والتفسـير والحديث ، والسـيرة النبوية والتاريخ ، ومشاركاته الاكاديمية مع الباحثين فى الجامعات والروابط والنوادى والهيئـات .

شـخصيته العريقة تصل بنا ما انقطع من تراث الامة الاسـلامية الخالد ؛ فلازلنا نحمد الله عز وجل على أن يظل فى عصرنا من يسـير على نهج القـدماء المجددين ممن يتصف بمنهج « الموسوعات العلمية » وتنوع الثقافة والفكر ، فليس عجيبا أن يحظى عاشق المعرفة بهـذه الموسوعات الأصـيلة ؛ فقد تجاوزت مؤلفاته المئات ، واربت بحوثه ومقـالاته على الآلاف ؛ لأنه لا ينام عن المعرفة كما ننام نحن فى حياتنا اليومية ؛ فهو لا ينام الا فى الوقت الميت او الضائع اذا كان فى حريقه راكبا ، أو حديث يبعده عما يعشـق من الفكر ؛ فيغيب فى نومه وهو يقظان ، ولا يعـود الا اذا نبضت مشـاعره تعزف بأوتار المعرفة ؛ فلا غرابة حينئذ أن يتجاوز ما كتب عنه خمسة آلاف صـفحة ذات الحجم الكبير سـواء كتبها هو بنفسه فى سـيرة ذاتية ، أو كتبها عنه الأدباء والنقاد والمفكرون فى مؤلفات وبحوث ومقالات منشورة ، ورسائل أكاديمية مخطوطة منها :

١ ــ قصص من الحياة فى ١٨٧ صفحة .

٢ ــ فصول من الفكر المعاصر فى ٤٩٣ صفحة .

٣ ـ مواكب الحياة فى ثلاثة أجزاء ١٤٠٥ صفحة .

٤ ـ من صحائف الذكرى فى ٣٣٥ صفحة .

٥ ـ صفحات من الفكر المعاصر فى ٤٠٠ صفحة .

٦ ـ من مواكب الأيام فى ٢٠٨ صفحة .

٧ ـ جاحظ القرن العشرين وسيوطى المعاصرين فى ٣٠٠ صفحة .

٨ ـ الدكتور خفاجى شاعرا فى رسالة مخطوطة .

٩ ـ الدكتور خفاجى ناقدا أدبيا فى رسالة مخطوطة .

١٠ ـ خفاجى وجهود البلاغية فى رسالة مخطوطة .

١١ ـ عاشق المعرفة فى ٢٢١ صفحة وهو آخر المؤلفات كتبه عنه الأستاذ احمد فتحى عامر بمناسبة احتفال رابطة الادب الاسلامى العالمية ، ورابطة الادب الحديث برئيسها الذى جاوز الثمانين فى محراب المعرفة والفكر والثقافة ؛ ليظل أمد الله تعالى فى حياته عطاء ثريا ، ونجما فكريا مضيئا ؛ فيسير بيننا وهو حى مع الخالدين .

**دكتور على على صبح**

# الخفاجي شاعراً اسلامياً

## حسني سيد لبيب

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، صاحب الدراسات الأدبية والتراثية التى تضمها مؤلفات كثيرة العدد ، هو شاعر اسلامى متميز ، فما من قصيدة له ، الا ونلمس النزعة الايمانية تعطر شعره . تلك النزعة هى صمام الأمان لنفسه ، تعصمه من الزلل ، وتحدد اتجاه ابداعه ، فينتقى الكلمات مثلما ينتقى الجواهرى درره وقلائده . فتنساب أبياته الشعرية فى سلاسة . وطلاقة ، مثلما تنساب المياه الصافية فى جدول صغير ، ومن حوله تنبت أزهار الفل والياسمين ، ومن فوقه تحلق أطيار المنى فرحة طربة بالشعر المستوحى من تاريخ الاسلام وتعاليمه السمحة .

ونظرة الى ديوانه الموسوم ( أشواق الحياة ) ، نجده يحتفى بأمة القرآن ، ويستخلص العظات من الهجرة النبوية الشريفة ، ويستشرف معالى ديننا الحنيف بعد مرور أربعة عشر قرنا على الهجرة ، وعينه على الأزهر الشريف بتاريخه الحافل ، وغيرته الشديدة على لغة الضاد ، لغة القرآن الكريم . وكما ان لكل شاعر ثوبه الذى يناسبه ويزهى به ، فقد تزيى الدكتور خفاجي بالزى الاسلامى ، وعبقت روحه بأريج السيرة العطرة ، فيصوغ قصائدة اغنيات دينية تسمو بها النفس .. من هذه القصائد : ( انسان القرآن ) ، و ( انسان الاسلام العظيم ) ، و ( شعوب الاسلام ) ، و ( أمم تطوى ) ، و ( الغد الباسم ) ، و ( ملحمة الأجيال ) ، و ( رحلة التاريخ ) ، و ( الأزهر ) ، و ( يا حماة الضاد ) ، و ( ملحمة زاهد يحترق فى النور ) ، و ( الأزهر العظيم ) .

و ( أشواق الحياة ) هو احد الدواوين العديدة التى اصدرها ، بدءا بديوانه ( وحى العاطفة ) الذى صدر عام ١٩٣٦ ، ثم ديوانه ( صلوات على الضفاف ) الذى صدر عام ١٩٤٧ ، وديوانه ( احلام الشباب ) عام ١٩٤٩ ، وفى عام ١٩٦٩ صدر ديوانه ( أحلام السراب ) .. وتعاقبت دواوينه واحدا بعد الآخر : ( نغم من الخلد ) ، و ( الديوان الاسلامى ) ،

و ( أغنيات من عبقر ) ، و ( نشيد الذكرى ) ، و ( ملحمة السيرة النبوية الخالدة ) ، و ( احلام المساء ) ، و ( نشيد الصحراء ) .

وقد صدر ديوانه هذا ( أشواق الحياة ) عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، وبعض دواوينه المخطوطة لم النور بعد . كما نشر بعض أشعاره فى كتبه الكثيرة ، نذكر منها : ( الشعر والتجديد ) و ( ومع الشعراء المعاصرين ) ، و ( من روائع الأدب ) ، و ( مواكب الحياة ) .

فى صدر ديوانه ( أشواق الحياة ) ، تحت عنوان ( السان القرآن ) ، يقول فى مطلعها :

| | |
|---|---|
| اقرأ .. ويا لك من شعار أعظم | اقرأ .. شريعة مرسل ومكرم |
| اقرأ .. يعلمك الذى بجلاله | قد علم الانسان ما لم يعلم |
| اقرأ .. نداء رن فى أذن الوجو | د ، نداء عصر عبقرى ملهم |

وقد آثر الدكتور خفاجى أن يستهل ديوانه بهذه القصيدة ، التى تبدأ أبياتها الأولى بالنداء الالهى ( اقرأ ) الذى توجه به سبحانه الى سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد دلنا مفتتح الديوان على مضمونه ، كما دلنا على مفتاح شخصية شاعرنا ، الذى وقف عمره فى خدمة الأدب الاسلامى ، ابداعا وبحثا ونقدا ، وفى خدمة تراث أمة القرآن .

ويصدر الشاعر ديوانه بتعريف يقول فيه :

« هذا الديوان ( أشواق الحياة ) الذى يتضمن الوانا من الشعر الاسلامى والشعر الانسانى ، والشعر الوطنى .. والشعر الوجدانى والعاطفى . يصدر جامعا القصائد عديدة مختلفة فى تاريخ نظمها . ولكنها متحدة فى الروح والفكر والذاتية » .

يصف شاعرنا المتميز هجرة الرسول الكريم وصاحبه الصديق ابى بكر ، وموكب الهجرة الجليل ، تحرسه العناية الالهية .. يقول فى قصيدته ( موكب علوى ) :

أحمد والصديق وحدهما فى موكب قد خالد علوى

وقريش من خلفهم ، أمة تتـ ـبع آثار موكب عبقرى

ويسترسل فى وصف وثنية أهل الجاهلية ، وكيف طلع النور والسنا يحرر الانسان من العبودية :

وأتى النور من حراء جليلا ونبيلا فى صبح يوم زكى

فى ضحى مشرق وضىء سرى قد أتى بالدين الوضىء السرى

انه الوحى ، انه الحق والقر آن يوحى لأحمد العربى

المنى فيه والسنا ، والهدى والـ ـخير منه ، وكل عيش رضى

يتوجه خفاجي بشعره الى الشعوب الاسلامية ، مذكرا اياها بتاريخ الاسلام ، وفتوحاته العظيمة ، ويستوحى السيرة العطرة . يتوجه الى عرفات بقصيدة تتغنى بذكرى التضحية والفداء . ثم يتحدث الى المسلمين فى شتى بقاع العالم ، فى بدايات القرن الخامس عشر الهجرى . وحين ينتابه الاسى على حاضر أيامنا ، يستشرف ( الغد الباسم ) الذى يحلم به وقد قوى الايمان فى قلوبنا ، وبه نستطيع تحقيق الآمال وبلوغ المراد . كما يستعرض تاريخ مكة المكرمة . وما أكثر نداءاته الحرى الى روح نبينا الكريم ، وتأثره بسيرته العطرة .

ثم يتوجه الدكتور خفاجي الى مجمع اللغة العربية بندائه لحماية لغة القرآن ، والحفاظ على تراثها ، ومن قصيدته ( يا حماة الضاد ) نقتطف هذه الابيات :

مجمعى فى عيدك الذهبـ ـى قد صغت النسيبا

ألف عام بعدها السـ ـيف ستحياها أريبا

وتحيى لغة القر آن فى الدنيا وثوبا

وقريبا سنراها لغة الدنيا قريبا

وتهفو نفسه الى مكة ، فيناديها وقد وجد فيها شفاء لروحه :

أنت التى أسعدتنى ، أنت التى بهواك كلّ هواك كان جهادى

فى الكعبة الشماء والحرم الامين وزمزم والحجر طال رقادى

والى الصفا والمروة البيضاء والحجر الأشم حججت فى اعيادى

وفى ( ملحمة الضياء ) يقول :

وحده الله لا اله سواه وحده الله منشىء للحياة

والملاحظ هنا تكرار كلمة ( وحده ) تسع مرات ، فى صورة شعرية قوية الايقاع ، قاصدا ان يترك فى النفس الاثر المنشود ، والتأكيد على ( التوحيد ) رسالة الاسلام . وتمضى ملحمة الضياء أنشودة دينية يصوغها قلب مفعم بالايمان ، فى لحظات الصفاء الروحى مع خالق الكون سبحانه وتعالى فى علاه .

والدكتور خفاجى ما يزيد على الثلاثمائة كتاب . تضم كتبا محققة من التراث ، وكتبا اسلامية وتاريخية ، وتراجم ادبية ، ودراسات فى الأدب والشعر والبلاغة العربية ، نشر دراساته الأدبية وابداعاته الشعرية فى معظم المجلات المصرية والعربية ، نذكر منها الهلال والرسالة والعربى والثقافة والآداب والأديب وقافلة الزيت والفكر وغيرها ، وله مئات الأحاديث الاذاعية والتلفزيونية . كما أشرف على عشرات الرسائل الجامعية ، فى الأدب والنقد بجامعات الأزهر والقاهرة والاسكندرية ومعهد الدراسات الاسلامية . ويكفى ان نذكر للشاعر الاسلامى مواصلته النشر فى الدوريات منذ عام ١٩٤٠ وحتى الآن ، بهمة الفارس وشجاعته ، وحماس الأديب صاحب الرسالة والضمير اليقظ . لم يكلّ قلمه . دائب العمل ، مثابر ، مؤمن برسالته ، متفانيا فى ادائها . وكان الحصاد هذا الكم الهائل من نور المعرفة ووهج الفكر ، يدعمه ايمان يعمر قلبه ، وتفاؤل بالحياة ، واعتزاز بتراث أمته وتاريخها المجيد .

— ٢ —

## رداء الثمانين

### من الشاعر الكبير حامد الجوجري

### الى الخفاجي فى عيد ميلاده الثمانين

دع حديث السنين والايام ليس عمر الأديب بالأعوام
انما عمره بقدر عطايا ه ليرقى بالفكر والافهام
انه الغيث ما همى ينشر الخصـ ب حياة الوهاد والآكام
انه الشمس ما بدت تنشر النو ر شعاعا يشق جوف الظلام
انه الروح قوة وحياة للقلوب الظمأى وللأحلام
انه الأمن للنفوس الحيارى انه البرء من عصى السقام
انه للشعوب لبض حنايا ها ودفق الدماء فى الاجسام
وهداها الذى يضيء لها الدر ب فتسعى فى عزة ووئام
ليس داع بصول بالباس والنا ر كداع يصول بالاقلام
ذاك يبنى وذاك يفنى وليست تتساوى البناة بالهدام
كم بنى للحياة فكر ( الخفاجى ) من صروح مشيدة ومقام
عاش كالأفق يثبت الانجم الزهـ ر ويرعى مسالك الاعلام
وسعى فى هداه جيل ، فجيل وارتوى منه كل صاد وظامى
لم يزده ثوب الثمانين الا جدة الفكر واقتناص المرامى
لم يزل قلبه يفتح للحسـ ن كزهر يندى بصوب الغمام
فيصوغ الاشواق شعرا وفنا اين منه آيات شوقى ورامى ؟
كلما جئته تنسمت منه نفحة الأمن والرضا والسلام

## الوشـــاح المفوف
## – فى عيد العلامة الكبير محمد عبد المنعم خفـاجى

للشاعرة الكبيرة الأستاذة الدكتورة عاتكة الخزرجى

| | |
|---|---|
| قفى مصر اجـلالا له ثـم فوفى | وشـاحيه والتشريف قدر المشرف |
| فذا ركبه البـاهى اهل مشعشعا | سنى وسناء فارشفى منه وارشفى |
| وانفاسـه طابت كطيب غـلالة | من المسك أو روح زكى بمصحف |
| ارى الجو من روح الخفاجى فاغما | لننسـم اذن روح الصفى ونغرف |
| محمـد يا نعمى من الله افـرغت | على العلم والآداب فى كل متحف |
| كنور الربى أو كالأهـلة فى الدجى | وكالنـور دفاقا بروض ونفنف |
| فنبيت عطـاء فى الانام ولم تكن | فتى الورا يزهى بعـلم مزيف |
| الا فسـلوا عنه الطروس تجبكـم | بكل ازدهـاء انه زين احرفى |
| تلاميـذه فى كل شرق ومغـرب | شهود له تبقى به الدهر تحتفى .. |
| رواة دعـاة للخفـاجى لاتنى | تطمن جيـلا جاء جـم التشـوف |
| ومنه استقت من سلاسل العلم عذبه | اسـانيدها جاءت بالف مصنف |
| الا كرموا هـذا الامام فانـه | جليل كبير القلب جـم التعطف |
| اذا شـاء ضم الخافقين بقلبـه | وان شـاء أجزى العلم عنه بأحرف |
| جليـل نبيل ناسـك الروح ثابه | حبيب قريب كالنـدى المتـالف |
| معـانيه كثر ليس تحصى وانما | تطيب بتعـداد وتحلو لمنصف |
| لتهن به الاداب والعلم والحجى | ويهن به التاريخ فى كل مشرف |
| وتهن بـه مصر الحبيبـة انها | هى الأم فلتفخر بـه ولتشرف |
| وهنوا بـه دنيا العـروبة انـه | فتـاها ووفوا فالوفاء لمن يفى |
| واهدوا التحايا للخفـاجى انـه | قريب على رغم اللقاء المسوف |

حبيب الينـا رغم انف عداتنا عزيز علينـا رغم عنف المعنف
ويبقى على الأجيال ذكرا مخلدا كنبع الصـفا ثر الهوى والتصوف
محمد يا موسـوعة العلم دم لنـا وللشـعر نقادا كابرع صـيرفى
ودم كشميم الروض باكره الحيـا فحيى واحيا روحه كل معتفى . .

— ٣ —

من يحبه مثلى ؟ !

الى استاذ الجيل الاستاذ الدكتور خفاجى

فى عيد ميـلاده الثمانين

( ١ )

حيوا الخفاجى ، وغضوا الأعينا وادعـوا له بطول عمر وهنـا
احبه .. اعشـقه عشـق المنى فهـو الذى بعلمـه علمنـا
وهـو الذى دانت بفضـله الدنا من منكم يحبـه مثلى انا ؟ !

( ٢ )

شـاركنى فى حب اهـل وولد فحبـه يمـلأ ارجاء الجسـد
عين .. وعقل .. وفؤاد .. وكبد روحى تسامت ، وشـعورى يتقد
لذاك قلت معلنا : يا قومنـا من منكم يحبـه مثلى انا ؟ !

( ٣ )

نذكر نحن يا صـحابى امسـه نحفظ نحن يا رفاقى درسـه
وظرفـه .. ولطفـه وانسـه وكم لثمنـا راحـه وراسـه
قـد كان دوما عزنا وفخـرنا من منكم يحبـه مثلى انا ؟ !

( ٤ )

ينهل منه دارسو الضاد .. العرب وغيرهم .. فنا وعلما وادب
فى كل ما قال .. وكل ما كتب من يومنا هـذا الى كل الحقب
فلم يخص بالجنى اجيالنـــا من منكم يحبـه مثلى انا ؟ !

( ٥ )

أســتاذنا يا اخوتى .. بلا نظير طود أشـم شـامخ .. بحر كبير
من قادر الى ذراه ان يطير ؟ ! كالبدر يعلو .. وعلى الأرض يسير
فان وجدتم مثله .. هاتوا لنـا من منكم يحبـه مثلى انا ؟ !

( ٦ )

يا ســعدنا به اذا نقــابله فهـو أب حان عظيـم نائلـه
وهـو اخ بحبنـا نبـادله وهـو صديق فاز من يزاملـه
نشـكره .. ولا نوفى شـكرنا من منكم يحبـه مثلى انا ؟ !

( ٧ )

صاف .. كقطـر للندى زلالا شاف .. كرزق طيب حـلال
فى كل شيء .. مضرب الأمثال مصـنف فى ذروة الأبطـال
هيا لننحو نحـوه .. هيا بنـا من منكم يحبـه مثلى انا ؟ !

د. محمود على السمان

استاذ متفرغ

وعميد كلية اللغة العربية السابق بالبحيرة

## آراء سبق الخفاجى بالدعوة اليها

١ ــ فى عام ١٩٤٧ دعا الخفاجى للاحتفال بعيد النصر فى المنصورة بمناسبة ذكرى معركة المنصورة الخالدة عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥ م ــ وتحقق ذلك حيث صار يوم ٧ ابريل من كل عام عيداً قومياً للمنصورة .

٢ ــ كما دعا فى التاريخ نفسه فى مذكرة مطبوعة الى انشاء جامعة فى مدينة المنصورة ، والى انشاء جامعة ازهرية فيها وتحقق ذلك الامل البعيد .

٣ ــ فى عام ١٩٥٣ دعا الى انشاء مسجد رسمى للدولة وتحقق ذلك بانشاء مسجد عمر مكرم .

٤ ــ فى عام ١٩٦١ دعا الى انشاء دار للقرآن الكريم ودار للحديث النبوى الشريف ، وسرعان ما تحقق ذلك بانشاء جامع الفتح ( مكان مسجد أولاد عنان باشا) بفضل الوزير ابراهيم الطحاوى ليكون دارا للقرآن والحديث .

٥ ــ بعد ذلك وفى منتصف العقد السابع من هذا القرن دعا الى انشاء جامعات نوعية وهذا هو ما تدعو اليه أجهزة الاعلام فى الدولة اليوم .

٦ ــ وفى العقد السابع من هذا القرن دعا الى انشاء مجمع فقهى ونشر مقالات حول ذلك فى الصحف ، وتحقق ذلك الامل بعد ذلك .

٧ ــ كما دعا الى أمم متحدة اسلامية وسوق عربية ومحكمة عدل عربية ، وهو ما تدعو اليه اليوم أجهزة الاعلام .

٨ ــ كما دعا مبكراً الازهر الى انشاء مراكز اسلامية فى اوربا وامريكا وآسيا وغيرها ، وهو ما حدث بعد ذلك .

٩ ــ دعا الى انشاء جامعة اسلامية جديدة ، هى جامعة الفسطاط

الاســلامية التى كانت موجودة منذ الفتح الاسلامى لمصر .. وهو ما نامل فى تحقيقه .

١٠ ـ دعا الى انشاء صندوق للدعوة الاســلامية وهو ما حدث بعد ذلك من قريب .

١١ ـ دعا الى تكوين اتحاد عام للجمعيات الأدبية . وهو ما صنعه الخفاجى حيث كون هذا الاتحاد برياسته .

١٢ ـ دعا الى الاحتفــال بالعيد الألفى للأزهر منــذ عام ١٩٥٣ . ولم يتحقق ذلك الا عام ١٩٨٣ .

١٣ ـ وهــو أول من كتب عن الاســلام وحقوق الانســان منــذ عام ١٩٣٨ م .

١٤ ـ أول من كتاب كتابا عن النظرية الاقتصادية فى الاســلام .